

دِيَوَانُ
الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
أبي عبد الله محمد بن إدريس

شرحه وضبطه نصوصه وقدم له
الدكتور عارف الطباع



جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

توزيع دار القلم للطباعة والنشر

بيروت - لبنان - ص.ب. ٣٨٧٤

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٨٣٤٩٧٣/٤ -
فاكس ٦٠٢٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -



دَيُّوَانُ
الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ

محمد بن إدريس الشافعي

بقلم: الدكتور عمر الطباع

كان أشبه بواسطة العقد في العلوم الدينية ومذاهبها، فقهاً وحديثاً، ودرة في سلك العلوم اللسانية لغةً وأدباً وشعراً على حدّ سواء. بل كان إمام عصره في أكثر هذه العلوم وتلك الأصول. أضف إلى ما تقدم شرف المنبت وعزة المحتد وانتهاءه فيهما إلى فرع سامق - من دوحة النبوة - هداه في الدين إلى الحق وفي العقيدة إلى الجوهر وفي الذات إلى علو الشأن وكبر النفس، وفي المجد إلى عظمة الفكر وغزارة العطاء وعمق النتاج. ذاك هو محمد بن إدريس الشافعي أحد أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى المعروفة.

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي... بن كنانة... بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد. وذكر ياقوت أن «هاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي»: ذلك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك.

ولد الشافعي - كما روى عن نفسه - بغزة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م)، وهي من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى كانت ولادته في عسقلان، وهي على بعد ثلاثة فراسخ من غزة، «وكلاهما من فلسطين»^(١). وفي رأي ياقوت: أن ولادة الشافعي كانت في غزة ثم انتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع. وكانت ولادة الإمام الشافعي يوم مات أبو حنيفة. أما وفاته فكانت سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م)، وهو ابن

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٣٩٤/٦.

أربع وخمسين سنة، وقيل: «وهو ابن ثمان وخمسين سنة» بتقديم وتأخير في التواريخ.

قال الشافعي: «ولدت باليمن - لأن غزة وعسقلان من قبائل اليمن»^(١) - فخافت أُمِّي عليّ الضّيقة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك.

كان الشعر والنحو والغريب أول ما طلبه الشافعي من العلم بل أهم ما استحصف^(٢) في نيّله كما ذكر ياقوت برواية الزبير بن بكار عن مصعب بن عبد الله بن الزبير^(٣) قال ابن بكار: فقلت - للشافعي - إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به^(٤).

وكان مالك بن أنس وهو من هو في الفقه وعلوم الدين وصاحب المذهب المعروف باسمه رأس شيوخ الشافعي، بفضلّه تحوّل من العلوم اللسانية والشعر إلى علوم الشريعة فكان مصلياً ثم بات مجلياً^(٥) في هذا الميدان بعد أن أخذ عن كثيرين من مشايخ المدينة وعلماء العراق ومنهم محمد بن الحسن الذي انقطع إليه مدّة سنين.

وللشافعي رواية طويلة في وصف مسيرته العلمية وكيف استهلّ بالآداب وكيف جدّ بعد ذلك في طلب المعرفة الدينية، مبتدئاً بـ «الموطأ» قبل أن يأذن له صاحب الموطأ مالك بن أنس بالأخذ عنه والجلوس إليه.

في حديث الشافعي عن نفسه وحداثته نستشف ذكاءه وقوة حافظته وشغفه بالدرس وملازمته هذيلاً^(٦) في البادية سبع عشرة سنة يتعلم كلامها ويأخذ طبعها لأنها أفصح العرب. هكذا شاء قلب الشافعي قبل أن يتألق نجمه في الفقه والإفتاء والحديث أن يملأ كنانته بأخبار العرب وأيامهم من ينابيع التراث العربي الثرة وقراح سلسيلها، من مسارح أرض الهذليين «يرحل - برحيلهم، - ويتزل - بتزولهم»^(٧).

ومن طريف ما حدّث به الإمام حول هذه المرحلة من عهد الطلب أنه: كان

(١) م. ن ص ٢٣٩٤، نقلاً عن أبي عثمان ابن الشافعي.

(٢) استحصف: استحكم. (٥) مجلياً في الميدان: سابقاً فيه.

(٣) م. ن ص ٢٣٩٤. (٦) هذيلاً: أي بني هذيل.

(٤) م. ن ص ٢٣٩٤. (٧) معجم الأدباء لياقوت (٦/٢٣٩٥).

يتلقط الخزف والرقوق وكرب النخل وأكتاف الجمال^(١) يكتب فيها. وأنه كان يأتي الدواوين يستوهب منها الظهور فيكتب فيها، كما كان يملأ حباباً كانت لأمه فيملأها بالأخبار والأحاديث. فكان في هذا أسبق من أبي العتاهية في كتابة منظوماته على كسر الخزف والجرار.

ولو شئنا أن نطنب في تعداد ما امتلك الشافعي من نواصي العلوم في مختلف فنونها وأغراضها لسقنا ما رواه ياقوت من خبره في مجلس الرشيد، إلا أننا نكتفي بما قاله الشافعي حين سأله الخليفة عن علمه بالقرآن والنجوم والأنساب والمواعظ فقال: «عن أي علوم - القرآن - تسألني، عن حفظه فقد حفظته. . . وعرفت وقفه وابتدأه وناسخه ومنسوخه وليلته ونهارته ووحشته وإنسيته وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام. . . أما النجوم؟ - : فإني لأعرف منها البري من البحري والسهلي والجبلي والفيلقي والمصبح وما تجب معرفته - وأما الأنساب؟ - : فإني لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين^(٢) . . .

وليس أدل على علو كعب الشافعي - في أبواب العرفان وطول باعه ورسوخ قدمه في القضايا الفقهية ودراسة الحديث والقدرة على التأويل - من أخبار تلك المناظرات التي خاضها ورجح بها ميزانه بينما شالت موازين خصومه ومناظريه ومن ألمعهم إسحاق بن راهوية^(٣).



حظي الشافعي - لما حباه الله من المواهب البهية ومكاسب العلم السنية والسيرة الشريفة والشمائل السامية العفيفة - بأعجاب الدارسين وثناء النخبة من المؤرخين فقال البيهقي^(٤):

«اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره فأول ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ،

(١) يشير إلى قطع الفخار والجعد وأوراق الجريد وعظام الجمال التي اتخذها للكتابة.

(٢) كتاب المناقب للبيهقي (١/١٣٢ - انظر معجم الأدباء لياقوت (٦/٢٣٩٧).

(٣) انظر طبقات السبكي (٢/٨٣).

(٤) البيهقي (المناقب): ١/٥٥ و ٢/٣٢٤.

ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه، ومنها كشفه لتمويه مخالفه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلاس وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي... وابن أبي الجارود... وابن سريج... والخلال... وابن سلام، والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.



توزعت حياة الشافعي بين تاريخ مولده وتاريخ وفاته وعهدي الطلب والأستاذية بين فلسطين واليمن والحجاز والعراق ومصر وحلّ في العديد من البلدان طالباً وإماماً كما تقدّم. وحين قدم إلى مصر في الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته [١٩٩ - ٢٠١ هـ = (٨١٤ - ٨١٩ م)] بلغ أعلى مراتب الشهرة والألمعية عندما استوى مذهبه راسخ البنيان سامق الأفنان بين مذاهب الشريعة الإسلامية. وفي جامع القسطنطينية أخرج الشافعي من كنانة إيداعه أحدث كتبه يتوجّها كتابه «الأم» الذي كان الكتاب الجامع لمذهبه القائم على الكتاب والسنة والقياس وإجماع الأئمة وقد أوردنا في السياق أسماء العلماء من المصريين الذين كان لهم شرف التلمذ له وفيهم الجيزي، والبويطي والمرادي.

ورواة كتب الشافعي أكثر من أن يعدّوا يكفي تعداد الأفذاذ منهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو ثور والزعفراني والكرابيسي من علماء بغداد. قال ياقوت: «كان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه»^(١)، قال الزعفراني وهو من نخبة أتباعه «كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا»، والسرّ في ذلك أن الشافعي كان يركّز في آرائه على القرآن والسنة ويحضّ على الأخذ منهما قبل اللجوء إلى القياس، وسنده في هذا هو قوله تعالى: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٢). بكل هذه القيم الخلقية والعلمية تبوّأ الشافعي أرقى المراتب في الحديث والتشريع واشتهرت فتاويه وعمّت

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٤١٥ - ٢٤١٦.

(٢) القرآن الكريم سورة الحشر الآية ٧.

الأمصار، كما تعزّز مذهبه بين سائر المذاهب.

لعلّ العنوان الأبرز في شخصية الشافعي العطاء الفكري غير المحدود البارز في آثاره التي تتجاوز المائة كتاب والتي أثبتت المراجع تفصيلها وبينها معجم الأدباء لياقوت.

ومن أهم هذه الآثار كتب: الطهارة - الإمامة - صلوات العيدين والاستسقاء والكسوف - الزكاة الكبير - المناسك - الرسالة - أحكام القرآن - اختلاف الحديث - الشهادات - ردّ المواريث - الوصايا الكبير - الولاء والحلف - الصداق - إباحة الطلاق - أدب القاضي - الشروط - الغصب - الاستحقاق - الأقضية - الصلح - الحدود - الوليمة - الضحايا - الصدقات - خلاف مالك والشافعي - الاقرار بالحكم الظاهر - الأجناس - مسألة الجنين - وصية الشافعي - ذبائح بني إسرائيل - التفليس - الحوالة والكفالة - الفيء - العقول - الأولياء - كتاب الأم...

كان الشافعي يقول على غرار قول أبي العتاهية لو شئت لجعلت كل كلامي شعراً. كان ذا شاعرية وذا بديهة في الشعر ولكنه حين تحوّل إلى رياض العلوم الدينية عَقَلَ لسان شعره واقتصر على الأبيات والمقطوعات القصيرة يطلقها بين يدي آرائه ويجعلها كالأطواق في جيد آدابه.

لم تتباين الآراء حول شاعرية الشافعي كما تباينت بالقياس إلى شعر الإمام عليّ. ولا نكاد نجد شعراً منسوباً إليه بالكثرة التي عرفناها في ديوان الإمام عليّ^(١). إلا أن الرواة أثبتوا من شعره مقطوعات كثيرة أوردوها في ديوان الإمام عليّ مسبوقة بقولهم: «وينسب إلى الإمام عليّ». فإذا تركنا شعر المناسبات الذي يتصل غالباً بظروف حياة الشاعر وسيرته، فالشافعي لم يكثر من هذا اللون لأن سيرته كانت محدودة في إطار القضاء والحديث والافتاء. وهذا قدر ضئيل المساحة بالنظر إلى الأحداث الجسام التي رافقت حياة أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وعهد خلافته.

لعلّ الفروق في الأسلوب والصور الشعرية والمعاني القائمة بين شعر الإمامين إنما مردّها أحياناً تصميم الشافعي في فجر تحصيله العلمي على آداب العرب وأخبارهم وشعرهم وصحبته شعراء بني هذيل قرابة العقدين من الزمن فاكتسب بذلك

(١) أنظر تحقيقنا لديوان الامام عليّ عليه السلام، منشورات دار الأرقم بن أبي الأرقم.

قوة في التعبير وأناة في الأداء لكنه لم ينزلق إلى الخشونة ولم ينأ عن البيان . كان المبرّد يقول : كان الشافعي من أشعر الناس وأدب الناس» .

وذكر البيهقي - نقلاً عن الأصمعي - أنه قال : «صحت أشعار هذيل على فتي من قریش يقال له محمد بن إدريس الشافعي» .

وأكد مصعب الزبيري أن أباه والشافعي كثيراً ما تناشدا الشعر، وكان محمد بن إدريس يأتي على شعر بني هذيل حفظاً .

ولم يأخذ الأصمعي عن الشافعي شعر هذيل وحسب بل شعر الشنفرى أيضاً . ومن الأهمية بمكان الالتفات إلى هذه الظاهرة الهامة وهي أن إمام الشافعي بغريب الشعر لم يشده إلى الغموض والتعقيد اللفظي بل ربما كان من دواعي حرصه على المعاني القريبة بأسهل سبل الأداء وأكثرها ملاءمة للذوق والسماع .

وشعر الشافعي مدين في جانب من جوانبه إلى إمامه الجيد باللغة حتى قال ابن هشام : «جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتمر لا يجد في العربية أحسن منها، وقال كذلك : للشافعي لغة يحتاج بها . وكانت لغته فتنة» .

إن السهولة والوضوح في شعر الشافعي عنوان بلاغة وليس مظهر ضعف أو تقصير لأنه كان يملك القدرة على الجزالة وكان يمارسها في النثر ليجعل شعره أعلق بالسن الناس وأثبت في أذهانهم وأكثر سيورة على الزمن .

ولم تكن أشعاره - الأبيات، أو المقطعات - من دلائل النفس الشعري المحدود أو القصير بل تجاوباً مع نزعته إلى شرف المعنى . فهو أقرب إلى بابي الخاطرة والحكمة كما ترى من موضوعاته وأبوابه التي تدور حول حكم القضاء والقدر والسماحة والمروءة وشجاعة الرأي وعظة الأيام ومخالفة الأهواء والانصياع إلى منطق العقل وغلبة الحظوظ على البشر وعدم الاغترار بالدنيا، لأن لذائذها إلى زوال ونعمها إلى تبدد وعدم . ويلامس شعر الشافعي بعض جوانب الوجدان دونما سطحية أو ابتذال يصرفانه عن مكانته في القضاء والفتوى وهو مقام يلزم صاحبه بالوقار ويفرض عليه أن يصون شعره من الإسفاف أو الخوض طويلاً في شؤون القلب ولهفة الشوق والصبابة . فإذا فعل فهو يحرص على حسن القصد كمثّل قوله :

أنت حَسبي وفيك للقلب حسب ولحسبي إن صحَّ لي فيكَ حَسْبُ
لا أبالي متى وداؤك لي صحَّ من الذَّهر ما تعرَّضَ خَطْبُ
ومرّد هذا الوجد المهدّب في شعر الشافعي نفس عانقتها التقوى والصلاح وهو

القائل :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهِ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَيْبَا
والشافعي يشدّد في شعره على الوفاء للاخوان ويدعو إلى الصبر على بلوى
الزمان مؤمناً بأن لا ثبات لحال أو استمرار لواقع أو أوان . ومن عناوين خواطره
اعتبار ما للصمت من فضيلة ، والإيمان برحمة الله وعفوه ، وإدراكه ما في النفس
البشرية من ميل إلى الشر وحب للغدر وولع بالشتمات وانفطار على النيمة والحسد ،
ولذا حثّ على المكارم ودعا إلى التسامي فوق الدنایا كما دعا إلى عدم التهافت أمام
المصائب والرزایا .

في اعتقادنا أنّ ما قاله محمد بن دريد في رثاء الشافعي يحيط إحاطة جيّدة
ليس فقط بروائع سيرته بل يعدّد أيضاً محامده ومحاوّر أدبه وشعره . قال ابن
دريد :

ألم تر آثار ابن إدريس بغدّه	دلائلها في المشكلات لوامعُ
معالمُ يفنى الدهرُ وهي خوالدُ	وتنخفضُ الأعلامُ وهي فوارعُ
مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرِّفُ	مواردُ فيها للرشادِ شرائعُ
ظواهرها حُكْمٌ ومستنبطاتُها	لما حكم التفريقُ فيه جوامعُ
لرأي ابن إدريس ابن عمّ حميدٍ	ضياءُ إذا ما أظلم الخطب ساطعُ
إذا المُفْطَعاتُ المشكلاتُ تشابهتْ	سما منه نورٌ في دجَاهنَّ لامعُ
أبى الله إلا رفَعَهُ وعلّوهُ	وليسَ لما يُغْلِيهِ ذو العرشِ واضعُ
تَوَخَّى الهدى واستنقذته يدُ التقى	من الزيغ إنَّ الزيغَ للمرءِ صارعُ
ولأذْ بآثارِ الرسولِ فحكمه	لحكمِ رسولِ الله في الناسِ تابعُ
وعوّل في أحكامِهِ وقضائِهِ	على ما قضى في الوحي والحقِ ناصعُ
تَسَرَّبَلْ بالتَّقوى وليدأ وناشأ	وخصّ بلبّ الكهل مُذْ هو يافعُ
وهُذَّبَ حتى لم تُشِرْ بفضيلةٍ	إذا التمسْتِ إلّا إليه الأصابعُ
فمنْ يكُ علمُ الشافعي إمامه	فمرتعهُ في ساحة العلمِ واسعُ

سلامٌ على قبر تضمَّن جسمه وجادت عليه المُدجنات الهوامُ
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه لهنّ لما حُكمن فيه جوامعُ
فأحكامه فينا بدورٌ زواهرُ وآثاره فينا نجوم طوالع^(١)

إنّ ديوان الإمام الشافعي الذي عنينا بجمعه وتبويبه - تبعاً لحروف الهجاء وحركات الإعراب - والذي تناثرت أبياته ومقطعاته في مصادر شتى أدبية ولغوية وتاريخية... يشكل نموذجاً لشاعرية رجل الفقه والقضاء الذي التزم بأحكام الدين قرآناً وحديثاً. والشافعي من «مدرسة أصحاب الحديث»، لكنه وفق - مع ذلك - بين اتجاهه هذا واتجاه أصحاب مدرسة الرأي، منتصراً في الدرجة الأولى للقرآن والسنة. وشعره في مجمله ينهل من هذين ينبوعين الدافقين ومن سيرة الراشدين وكبار الصحابة والأئمة.

إن قارئنا الكريم يلاحظ ولا ريب عنايتنا بالتقديم للديوان وضبطه ضبطاً دقيقاً يساعد على كشف المعاني والدلالات اللفظية، كما حرصنا على إثبات الحواشي والتعليق عليها وتعيين مصادر الآراء والشواهد، التزاماً بنا بالمنهج العلمي في الشرح والتحقيق. وهكذا نلحق «ديوان الشافعي» بالدواوين التي حققناها بعناية داري القلم والأرقم بن الأرقم سائلين الله العون لاستكمال هذه السلسلة على النحو الأمثل الذي ننشده. والله نعم المولى ونعم النصير.

٢٠ محرم ١٤١٦

١٩ حزيران ١٩٩٥

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٩).

ترجمة الشافعي

في «معجم الأدباء»، لياقوت الحموي

محمد بن إدريس الشافعي الإمام: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد.

وهاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي ﷺ ذاك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك.

ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وَحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين، قال: وكانت أُمِّي من الأزد، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل.

وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدتُ بعسقلان، وعسقلان من غزة على ثلاثة فراسخ، وكلاهما من فلسطين.

وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، ولا اختلاف في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة، ومات الشافعي رحمة الله عليه في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وفي رواية أن الشافعي قال: ولدت باليمن فخافت أُمِّي عليَّ الضيعة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك، وتأوَّلَ بِهِمْ قوله باليمن بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها. قلت:

وهذا عندي تأويلٌ حَسَنٌ إِنْ صَحَّتْ الرواية وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع.

وأما طلبه للعلم فحدث الزبير بن بكار عن عمّه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحصف^(١) في طلب الشعر والنحو والغريب، قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به؛ قال: وكان فتى حلواً، فما ترك عن مالك بن أنس إلا الأقل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه، ثم شخّص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه، ثم جاء إلى المدينة بعد سنين؛ قال: فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

حدث الآبري^(٢) وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السجزي بن يحيى البصري ويحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري، كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون أمليتهم^(٣) فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم، قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والرقوق^(٤) وكَرَبَ النخل وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً. ثم إني خرجت عن مكة^(٥) فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمرّ بي رجل من الزبيرين^(٦) من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله عزّ عليّ ألا يكون مع هذه اللغة

(١) م: مستحض.

(٢) السند والرواية في البيهقي ١: ٩٤.

(٣) م: ولقد كنت يكتبون أمتهم.

(٤) م: والدفوف.

(٥) تكملة الرواية في البيهقي ١: ١٠٢.

(٦) في بعض أصول البيهقي كما ورد؛ وفي المتن: الزهريين.

وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي ممن يُقصد^(١)؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ، قال: فوق - ذلك - في قلبي فعمدت إلى «الموطأ» فاستعرت من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً، قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال: يا فتى إن مشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليّ من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذلّ حتى أقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر، قال: هيهات، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا؛ قال: فواعدته العصر، وركبنا جميعاً فوالله كان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق، قال: فتقدم رجل الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاي إني بالباب، قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة، قال: فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعت، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية، فجلس وهو متطلس، فرفع إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى هذا: «إن هذا رجل من أمره وحاله، فتحدثه وتفعل وتصنع». فرمي بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله، وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل^(٢)؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيّبه أن يكلمه، فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبٍ ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ فلما أن سمع كلامي نظر إليّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ قلت: محمد، فقال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال: نعم وكرامة، إذا كان غداً تجيء ويجيء من يقرأ لك، قال فقلت: أنا أقوم بالقراءة، قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيّئت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة.

ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي

(٢) قد تقرأ: بالوسائل.

(١) م: بقي نقصد.

بها الشأن، وكان بها والٍ من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسة من العلوية قد تحركوا. فكتب الوالي إلى الخليفة يقول: إن ناساً من العلوية قد تحركوا^(١). وإنني أخاف أن يخرجوا وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهى. قال: فكتب إليه هارون أن أحمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم؛ قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن، قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني ولست القادر على ما أريده منك، يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه، قال قلت: فذاك أنت يا أمير المؤمنين، قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم، قال: فسُرِّي ما كان به، فاستوى جالساً فقال^(٢): يا ابن إدريس كيف علمك بالقرآن؟ قلت: عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وفقه وابتدائه وناسخه ومنسوخه وليلته ونهاريته ووحشيته وإنسيته وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام؛ فقال لي: والله يا ابن إدريس لقد ادّعت علماً فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته، قال: فكيف علمك بأنساب العرب؟ قال فقلت: إني لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين، قال: لقد ادّعت علماً، فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاوس اليماني^(٣) فوعظته بها فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً. وحملت على فرس، وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه، قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني، قال فقلت له: إني لا آخذ العطية ممن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقني، قال: فوجد في نفسه، قال: وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي، فوجهت إلى كاتب محمد

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) قارن بالبيهقي ١: ١٣٢.

(٣) جعل البيهقي الموعظة للشافعي نفسه وأورد نصّها.

بن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وأنسخها لي ووجه بها إليّ، قال: فَكُتِبَتْ لي وَوُجِّهَ بها إليّ.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون، وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم، قال: واجتمعنا في ذلك المكان، قال: وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكّنه، قال: فاندفع يعرضُ بي ويدمُّ أهل المدينة، فقال: مَنْ أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة والله لقد وضعتُ كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمتُ أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرتُ حتى أُرَدَّ عليه، قال الشافعي: فقلتُ إن أنا سكُتُ نكُستُ رؤوس من ها هنا من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت عليّ السلطان، ثم إنني استخرتُ الله في الردِّ عليه، فتقدمتُ إليه فقلت: أصلحك الله، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك شبن أنس فألاً ذكرت ذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله، وكلهم على خلاف ما ادّعيته. وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعت على أهل المدينة فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ إلى آخره: قلتُ في مسألة كذا وكذا كذا وهو خطأ، فاصفرَّ محمد بن الحسن ولم يجر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان، فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطةً فقفاً عينها وماذا يجب عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها فيقوم ما بين القيمتين. ولكن ما تقول أنا وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك، قال فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد، فلما أن استوينا بين يديه قال لي يا أبا عبد الله تسأل أو أسأل؟ قال قلت: ذاك إليك، قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبة هي^(١)؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل: ﴿إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] فدل أنها واجبة. فقال: وما تنكر من قائل قال لك إنما أمر الله تعالى نبيه ﷺ وهو فيهم، فلما زال عنهم النبي ﷺ زالت تلك الصلاة، فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] فلما أن

(١) قارن بالبيهقي ١: ١٢٨.

زال عنهم النبي ﷺ زالت عنهم الصدقة. فقال: لا، قلت: وما الفرق بينهما والنبي ﷺ هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يا أهل المدينة ما أجراًكم على كتاب الله، فقلت: الأجر على كتاب الله من خالفه، قال فقد قال الله عز وجل ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فقلت: أنتم: نقضي باليمن مع الشاهد، فقلت: لكننا نقول بما قال الله ونقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، ولكنك أنت إذا خالفت قضاء رسول الله ﷺ فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم ردُّ اليمين؟ قال قلت: سنة رسول الله ﷺ، قال: وأين؟ قلت: قصة حويصة ومحبيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله ﷺ في قصة القتل تحلفون وتستحقون دمَّ صاحبكم، قالوا: لم نشهد ولم نعاين؛ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا ردُّ اليمين إلى اليهود. قال فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله ﷺ، قال فقلت: يا أمير المؤمنين هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود، فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا ابن الحسن، رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود؟ نطع وسيف، قال فلما رأيت الجدَّ من أمير المؤمنين قلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله ﷺ، قال: فسيرتُ عنه، قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار، قال فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت: فكيف رأيته بعد ذلك؟

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار.

مناظرة إسحاق بن راهويه^(١) مع الشافعي رضي الله عنه:

نقلت من «تاريخ نيسابور» للحاكم ومن «كتاب مناقب الشافعي» للآبري وجمعت بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كل قول إلى قائله^(٢): حدث الآبري بإسناده، قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا يعقوب قم حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، قال: فقممت فأتى بي فناء زمزم، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض، تعلو وجهه السمرة، حسن السميت حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه، فقال له: يا أبا عبد

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، انظر طبقات السبكي ٢: ٨٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى.

(٢) انظر طبقات السبكي ٢: ٨٩ في هذه المناظرة، وقارن بمناقب البيهقي ١: ٢١٣ وقال البيهقي ١: ٢١٤ قد ذكرنا حكاية مناظرتهم في كتاب المعرفة أتم من هذا.

الله هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحبَ بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم وأعجبه حفظي، قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت له: يا سبحان الله أقمنا من عند رجل يقول «حدثنا الزهري» فما توهمتُ إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريباً منه، فأتيت بنا إلى هذا الشاب (أو هذا الحديث)^(١). فقال لي: يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل فإنه ما رأيت عينا مثله. قال الآبري، قال إسحاق: فسألته عن سُكنى بيوت مكة (أراد الكرى) فقال جائز. فقلت: أي يرحمك الله، وجعلتُ أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ومن كره كرى بيوت مكة، وهو ساكتٌ يسمع، وأنا أسردُ عليه، فلما فرغتُ سكتَ ساعة وقال: أي ويرحمك الله، أما علمتَ أن النبي ﷺ قال: هل ترك لنا عقيلٌ من ربيع أو دار، قال: فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. (قال الحاكم) فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. (قال الحاكم) ولم يكن الشافعي عرف إسحاق فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني، فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهلُ خراسان أنك فقيهم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون، قال الشافعي: ما أحوجني أن يكونَ غيرك في موضعك فكنْتُ أمرَ بَعْرِكَ أذنيه.

وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي لو قلتُ قولك احتجتُ إلى أن أسلسل، أنا أقول لك «قال رسول الله ﷺ» وأنت تقول «عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك» بل [ليس] لأحد مع رسول الله ﷺ حجة. قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم «مَرَدُّكَ لَا كَمَا لَا نَيْسَتْ»^(٢) قرية عندهم بمرور يدعون العلم وليس لهم علمٌ واسع.

وقال الآبري قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالكاني، ومالكان قرية من قرى مرو أهلها فيهم سلامة.

قال الحاكم في خبره، فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبته إلى شيء

(١) م: الحديث.

(٢) يعني: الرجل من أهل قرية «لاكمالان» وانظر معجم البلدان.

فقال: تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة، فقال له الشافعي: قال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الآية [الحشر: ٨] نسب الدار إلى المالكين أو إلى غير المالكين؟ قال إسحاق: إلى المالكين، قال الشافعي: فقوله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، أنسب رسول الله ﷺ الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ قال إسحاق: إلى مالك، فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دور مكة وجماعة باعوها، وقال إسحاق له: قال الله عز وجل ﴿سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] فقال الشافعي: اقرأ أول الآية، قال ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] قال الأبري، قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله تعالى جل وعز وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ فدل قوله عز وجل سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. (قال الحاكم) وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تُنشَد فيها ضالة، ولا ينحر فيها البدن، ولا تشر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال: فسكت إسحاق ولم يتكلم.

وفي خبر الأبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله ﷺ: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا؛ قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

قال الأبري: وقرأت في بعض ما حكى عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول: وأحيائي من محمد بن إدريس الشافعي، يعني في هذه المسألة.

ومن كتاب الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول: دخلت على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أول ما قدمْتُ نيسابور، وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل الشاش، قال لي: إلى من اختلفت؟ قلت: إلى أبي الليث، قال: وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقده؟ قلت: حنبلي، فقال: يا بني قل شافعي وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟ قال: ومات أبو بكر القفال بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

ومن كتاب الآبري: حدثني محمد بن عبد الله الرازي، حدثنا الحسن بن حبيب
الدمشقي عن محمود المصري، وكان من أفصح الناس، قال: سمعت ابن هشام
(قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام) قال محمود: ورأيتُ
الشافعي وأنا صغير، قال محمود، وسمعت ابن هشام يقول^(١): جالسُ الشافعي
زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إذا اعتبرها المعبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها.
قال^(٢) وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يُحتَجُّ بها.

وحدث عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية
يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية، قال فقلت لرجل من رؤسائهم:
إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي؛ قال: وسمعت
أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي
عن الأصمعي أنه قال^(٣): صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد
بن إدريس الشافعي. قال^(٤): وحكي لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي
يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال: لا تُعلم بهذا أحداً من أهل
الحديث فإنهم لا يحتملون هذا.

قال الشافعي رضي الله عنه، قال: ما رأيت أحداً أعلم بهذا الشأن مني وقد
كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد.

وحدث ابن خزيمة قال، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا
أخذ في العربية قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده قلت: هو بهذا
أعلم، وإذا تكلم في الفقه قلت: هو بهذا أعلم.

وتحدث ابن عينة^(٥) بحديث عن النبي ﷺ أقرؤوا الطير في مكنتها، قال: وكان
الشافعي إلى جنب ابن عينة، فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول
النبي ﷺ أقرؤوا الطير على مكنتها، فقال الشافعي: إن علم العرب كان في زجر الطير
والخط والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظراً أول طير يراه فإن
سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال هذا طير الأيا من فمضى في حاجته ورأى أنه
يستنجحها، وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال هذا طير الأشائم فرجع. وقال

(١) مناقب البيهقي ٢: ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ٤٢.

(٤) حلية الأولياء ٩: ٩٤، ٩٥.

(٥) مناقب البيهقي ٢: ٤٤.

هذه حالة مشئومة، فيشبه قول رسول الله ﷺ أقرؤا الطير على مكنتها أي لا تهيجوها فإن تهيجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء الله عز وجل. قال وكان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي:

وحدث الأبري حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاءً، قال حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده، وكان عليلاً، فوثب أبي إليه فقبل ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، قال: فجعل يسأله ساعةً، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين، فوجه إلى أبي يا أبا عبد الله يا سبحان الله اضطرك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟! فقال له أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانفعت به. قال ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة.

وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال: قدم علينا نعيم بن حماد فحضرنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء.

ورواية أخرى عن حميد بن الربيع الخراز قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحداً أعظم منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وإنني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي.

وحدث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن، فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزئ فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت: هكذا، قال لي: أخطأت، فقلت: كيف أصنع؟ فقال: حدثني ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر قال: يا أبا ثور خذ مسألتك في الدور فإنما منعني أن أجيبك يومئذ لأنك كنت متعتاً.

وحدث المزني وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله عز وجل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روعي تصوير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيتها، ثم بكى وأنشأ يقول^(١):

(١) ديوانه (الزعيبي): ٧٨ (يكن): ١٦٠.

فلما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
 تعاضمني ذنبي فلما قرئتُ فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
 تجود وتعفو منةً وتكرماً فكيف وقد أغوى صفيك آدماء
 فلولاك لم يقدر بابليلس عابد

وحدث الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه.

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصديقي قال، قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى رضي الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحاً ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فألزمه ودع الناس وما هم فيه.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال^(١): كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له: أئذن لنا في أن نحفظ «الجامع الصغير» الذي لأبي حنيفة نخوض معهم إذا خاضوا، فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطليبي الذي رأيته بمكة، قال: فقدم علينا الشافعي، فمشوا^(٢) إليه وسألناه شيئاً من كتبه فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد، فدرسته في ليلتين ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه، فلما رأيته قال: ما جاء بك؟ لست^(٣) صاحب حديث، قال قلت: ذرني من هذا، أيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته، فقال: ليس هذا من كيسكم، هذا من كلام رجل رأيته بمكة معه نصف عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال^(٤): كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه، قال فقلنا: يُسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاورٍ وضمة مشتاق جناح

(٣) م: يا.

(١) مناقب البيهقي ١: ٢٠١.

(٤) مناقب البيهقي ٢: ٩٤.

(٢) البيهقي: فمشينا.

قال وإذا اجابة أسفل من ذلك :

أقول معاذ الله أن يُذهَبَ التقى تلاصقُ أكبادٍ بهنّ جراح
قرآن في أمالٍ أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته : قال الشيخ^(١) :
كان الشافعي رحمه الله يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة فألقت إليه
رقعة فيها :

عفا الله عن عبدٍ أعان بدعوة خليلين كانا دائمين على الودِّ
إلى أن مشى واشي الهوى بنميمة إلى ذاك من هذا فزالا عن العهد
قال : فبكى الشافعي رحمه الله وقال : ليس هذا يوم نظر ، هذا يوم دعاء ، ولم
يزل يقول ، اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه .

ومثله ما بلغني أن رجلاً جاءه برقعة فيها :

سل المفتي المكيّ من آل هاشم إذا اشتد وجدّ بامرئٍ كيف يصنع
قال فكتب الشافعي تحته :

يداوي هواه ثم يكتُمُ وجده ويصبرُ في كلِّ الأمور ويخضعُ
فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو
الجواب :

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى وفي كلِّ يومٍ غُصّةٌ يتجرّعُ
فكتب الشافعي رحمه الله :

فإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له شيء سوى الموت أنفع
ويروى للشافعي رحمه الله^(٢) :

أنثر درّاً بين سارحة البهم وأنظمتُ منشوراً لراعية الغنم
لعمري لئن ضيّعتُ في شرِّ بلدة فليستُ مضيعاً فيهم غرَرَ الكلمُ
لئن سهّلَ الله العزيزُ بلطفه وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحكم
بثتُ مفيداً واستفدتُ ودادهم إلا فمكنونٌ لديّ ومكتنم

(١) قارن بمناقب البيهقي ٢ : ٩٩ .

(٢) ديوانه (الزعيبي) : ٧٥ (يكن) : ١٥٥ (باختلاف في الرواية) : ١٩٢ .

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وله رضي الله عنه في تعزية^(١) :

إني أعزبك لا أني على طمع من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقي بعد صاحبه ولا المعزى وإن عاشا إلى حين
وحدث بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال : كان لأبي عبد الله الشافعي
امراة يحبها فقال^(٢) :

أليس شديداً إن تحـ بـ ولا يحبك من تحبـ
ويصد عنك بوجهه وتلج أنت فلا تغبـ
وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال : كنا في سفر بأرض
اليمن ، فوضعنا سفرتنا لتتعشى وحضرت صلاة المغرب ، فقلنا : نصلي ثم نتعشى ،
فتركنا سفرتنا كما هي ، وكان في السفرة دجاجتان ، فجاء ثعلب فأخذ إحدى
الدجاجتين ، فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا ، حرمتنا طعامنا ، فبينا نحن كذلك إذ
جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه ، فبادرنا إليه لنأخذه ، ونحن نحسبه
الدجاجة قد ردها ، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من
السفرة ، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة .

وحدث الحسن بن الزعفراني قال : سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها ثم
أنشأ يقول^(٣) :

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنظر
لسانك كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر
ولستُ بأمّعة في الرجال أسألُ هذا وذا ما الخبر
ولكنني مذرّة الأصغري من جلاب خير وفراج شر
وحدث الربيع بين سليمان قال : لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه
الناس فلم يجلس إليه أحد ، قال فقال له بعض من قدم معه : لو قلت شيئاً يجتمع

(١) ديوانه (الزعي) : ٨٧ (يكن) : ١٧٨ .

(٢) ديوانه : ٢٤ .

(٣) ديوانه : ١٠١/٤٨ ، ١٨٩ .

إليك الناس، فقال فقال: إليك عني وأنشأ يقول:

أنشر درًا بين سارحة النعم وأنظم منشوراً لرعاية الغنم
الأيات التي مرت آنفاً.

وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مَجَانَّةٌ فقال^(١):

وأنزلني طولُ النوى دارَ غربَةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أشاكِلُهُ
أحامقه حتى يقالَ سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنك أعاقله
وحدّث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول^(٢):

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعدٍ خيفها والناهض
سَحَرًا إذا فاض الحجيجُ إلى منى فيضاً كملتطمِ الفرات الفاض
إن كان رفضاً حبّ آلِ محمدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي
ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن
سليمان قال: سمعتُ الشافعي، وسأله رجل عن مسألة، فقال^(٣) يروى عن النبي ﷺ
أنه قال كذا وكذا، فقال له السائل: يا أبا عبد الله أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ
لونه وحال وتغير وقال: ويحك أي أرض تقلّني وأيّ سماء تظلّني إذا رويْتُ عن
رسول الله ولم أقلْ به؟ نعم على الرأس والعينين.

قال^(٤): وسمعت الشافعي يقول: ما من أحدٍ إلا وتذهب عنه سُنّة لرسول الله
ﷺ وتعزّبُ عنه، فمهما قلتُ من قولٍ أو أصْلْتُ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ
خلافٌ ما قلتُ فالقولُ ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولِي، وجعل يردد هذا الكلام.

وبإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني^(٥):
مالك لا تنظر في كتب الشافعي فما من أحدٍ وضع الكتب حتى ظهرت أتبعٌ للسنّة من
الشافعي رضي الله عنه.

وبإسناده إلى أبي عثمان المازني قال^(٦): سمعت الأصمعي يقول: قرأتُ شعراً

(١) ديوانه: ٧٣ (وهذا مما تمثل به وليس من شعره، وقافيته مغيرة: أوافقه/أحامقه).

(٢) البيهقي ٢: ٧١.

(٣) البيهقي ١: ٤٧٥.

(٤) البيهقي ١: ٤٧٥.

(٥) البيهقي ١: ٢٦١.

(٦) البيهقي ٢: ٤٧.

الشنفرى على الشافعي بمكة، قال زكريا بن يحيى الساجي: فذكرت ذلك للرياشي فقال: ما أنكره، قرأتها على الأصمعي فقال: أنشدنيها رجل من قریش بمكة.

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال^(١): قلت لعمي: يا عمّاه على من قرأت شعر هذيل؟ فقال على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس. وحدث الصولي عن المبرد إنه قال^(٢): كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات.

وبإسناده^(٣) إلى عبد الملك بن هشام النحوي صاحب كتاب «المغازي» أنه قال: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنَةً قط ولا كلمةً غيرها أحسنَ منها.

وبإسناده إلى جبیر بن مطعم قال^(٤): لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيتُ أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا يُنكرُ فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، رأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال: إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد، ثم شبك رسول الله ﷺ إحداهما بالأخرى، أخرجه البخاري في الصحيح. وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد: هاشم والمطلب وعبد شمس جدّ بني أمية ونوفل، وكان جبیر بن مطعم من بني نوفل وعثمان من بني عبد شمس وهما أخو المطلب.

وبإسناده^(٥) إلى الحارث بن سريج النقال قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو الله للشافعي أخضه به.

وبإسناده^(٦): كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن: ما أصلي صلاةً إلا وأدعو للشافعي فيها.

وبإسناده: قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي.

(١) البيهقي ٢: ٤٤. (٤) البيهقي ١: ٤٠ وانظر صحيح البخاري (مناقب قریش ٦: ٣٨٩).

(٢) البيهقي ٢: ٤٨. (٥) البيهقي ٢: ١٤٣.

(٣) البيهقي ٢: ٤٣. (٦) البيهقي ٢: ٢٤٤.

وبإسناده: قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال: حديث صحيح ورأي صحيح وسئل عن آخر فقال: لا رأي ولا حديث.

وبإسناده^(١) إلى محمد بن مسلم بن وارة قال: لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت: لا، فقال لي: فَرَطْتُ، ما عرفنا العموم من الخصوص وناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال ابن وارة: فحملني ذلك على أن رجعت إلى مصر فكتبتها.

وبإسناده قال الزعفراني^(٢): كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ فقال دعنا لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب.

وبإسناده^(٣) إلى عبد الملك الميموني قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعي، فرأيت أحمد يرفعه وقال: يروى عن النبي ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها، فكان عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

وبإسناده: قال الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وأنه تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة، ثم أنشأ يقول:

اثنان قد مضيا فبورك فيهما عُمُرُ الْخَلِيفَةِ ثُمَّ حَلَفُ السَّوْدِ
الشافعي الألمعي محمد إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقياً لنوبة أحمد
قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلي نفسي. قال فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

(٣) البيهقي ١ : ٥٥.

(١) البيهقي ١ : ٢٦٢.

(٤) البيهقي ٢ : ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) البيهقي ٢ : ٢٥٠.

وذكر الخطيب في «تاريخه» أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة.

وبإسناد البيهقي إلى داود بن علي الأصبهاني أنه قال^(١): اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، فأول ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه ومنها كشفه لتمويه مخالفه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلاس^(٢) وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وحرمة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبي الوليد موسى بن أبي الجارود والحارث بن سريج النقال وأحمد بن خالد الخلال وأبي عبيد القاسم بن سلام والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.

قال الشيخ أحمد البيهقي، إنما عدّد داود بن علي من أصحاب الشافعي جماعة يسيرة، وقد عدّ أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادة على مائة، هذا مع قصور سنه عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنه الستين أو السبعين، والشافعي لم يبلغ في السن أكثر من أربع وخمسين.

ومن «كتاب مرو» مسنداً إلى عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي قال^(٣): وقفت بمكة على حلقة عظيمة وفيها رجل، فسألت عنه ف قيل هذا محمد بن إدريس الشافعي، فسمعتة يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بأية من كتاب الله وسنة عن رسول الله ﷺ و قول صحابي. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جريء، ثم قلت له: ما تقول في المحرم يقتل الزنور. فقال قال الله تعالى ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنور.

(٢) انظر مناقب البيهقي ١: ٣٦٢.

(١) م: القلانسي.

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب، رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة، ورأيت رجلاً فُلّسه القاضي في مُدّي نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صُلّي قاعداً، وكان بالمدينة وال وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاية؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس، فقال: أهكذا؟ عليّ بالإمام، فنصب بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: أعز الله الأمير أيش جرمي؟ وهو يقول: جَمَلْنَا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال^(١): جاء رجل إلى الشافعي فقال له: أصلحك الله، صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إليّ وأيقظتني لمكرمة ودفعت عني اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال: يا غلام هات السبئية، ثم قال: للمشي على الحفّاء على علة الوجاء في حرّ الرمضاء من ذي طول أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب، ثم أنشأ يقول:

أرى راحةً للحقّ عند قضائه ويشقّل يوماً إن تركت على عمْدِ
وحسبك حظاً أن ترى عُذر كاذب وقولك لم أعلم وذاك من الجهدِ
ومن يقضِ حقّ الجار بعد ابن عمه وصاحبه الأدنى على القرب والبعدِ
يعشُ سيداً يستعذب^(٢) الناس ذكره وإن نابِه حقّ أتوه على قصدِ
ومما يروى للشافعي رضي الله عنه^(٣):

أصبحتُ مطرَحاً في معشرٍ جهلوا حقّ الأديب فباعوا الرأس بالذنبِ
والناسُ يجمعهم سملٌ وبينهم في العقل فرّق وفي الآداب والحسبِ
كمثلما الذهبُ إلا بريزُ يشرّكه في لونه الصُّفْرُ والتفضيلُ للذهبِ
والعودُ لو لم تطبّ منه روائحه لم يفرّق الناسُ بين العودِ والحطبِ
وعن أبي بكر ابن بنت الشافعي قال، قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر^(٤):

(٣) البيهقي ٢: ٦٤.

(٤) البيهقي ٢: ١٠٨.

(١) البيهقي ٢: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) م: يستغرب.

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصرِ ومن دونها قَطُعُ المهامِ والقفرِ
فوالله ما أدري أَلْفُوزِ والغنى أُساقُ إليها أم أُساقُ إلى القبرِ
قال: فخرج فقطع عليه الطريق، فدخل بعضُ المساجد وليس عليه إلا خرقة،
فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد، فقال^(١):

عليّ ثيابٌ لو يباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ أكثرا
وفيهن نفسٌ لو يقاس ببعضها نفوسُ الورى كانت أجلاً وأكبرا
وما ضرَّ نصلَ السيفِ إخلاقُ غمده إذا كان عضباً أين وجَّهته برى
قرأت في كتاب «خطط مصر» لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن
جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب «كتاب الشهاب» قال: محمد بن إدريس
الشافعي المطلبلي الفقيه يكنى أبا عبد الله، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين
بمصر، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش، وحوله جماعة من بني زهرة من ولد
عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم، وقبره مشهورٌ هناك مجمع على صحته ينقل
الخلف عن السلف في كل عصر إلى وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي
تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق، بينه وبين المشهد، والقبيران الآخران اللذان
إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى
قريش مات سنة أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جنب من الشافعي، وهو مما يلي
القبلة، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة، وكان من ذوي الجاه والمال والذبائح،
وكان يزكي الشهود، ولم يشهد قط لدعوة سَبَقَتْ فيهم، والقبر الثالث قبر ولده عبد
الرحمن بن عبد الله بن الحكم مات في سنة سبع وخمسين ومائتين، وقبره مما يلي
القبلة، وعبد الرحمن هذا هو صاحب كتاب «فتوح مصر» وكان عالماً بالتواريخ.

يقال إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول
خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن
موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد
الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي، من
قوم يقال لهم الزط، مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً
عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه

(١) البيهقي ١: ١٢٩ - ١٣٠.

وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتیان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر، وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، ومنع فتیان منه لأن يمضي عتقه بكل وجه، وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاقت فتیان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً، فلم يردّ عليه الشافعي حرفاً، ومضى في كلامه في المسألة، فرَفَعَ ذلك رافعاً إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتیان فَضْرِبَ بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه منادٍ ينادي هذا جزاء من سبَّ آل رسول الله ﷺ. ثم إن قوماً تعصبوا لفتیان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه، فحمل إلى منزله فلم يزل فيه عليلًا حتى مات في الوقت المقدّم ذكره.

قال ابن يونس: كان للشافعي ابن اسمه محمد قدم مع أبيه مصر، توفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين.

ومن مشهور أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني^(١)، مات في سنة أربع وستين ومائتين.

والربيع بن سليمان وكان من أجل أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً. ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم^(٢) يكنى أبا عبد الله، صحب الشافعي وقرأ عليه ومات سنة ثمان وستين ومائتين، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين، وكان من أهل الدين والورع.

والربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي^(٣) مولى لهم المؤذن الفقيه، يكنى أبا محمد، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته ومات سنة سبعين ومائتين، وقبره غربي الخندق مما يلي الفقاعي، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي، وكان جليلاً مصنفًا حدث بكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال إنه أعان المزني على غسل الشافعي.

(١) ترجمة إسماعيل المزني في سير الذهبي ١٢: ٤٩٢ (وإنما اخترت السير لأنه يدل على غيره لكثرة المصادر المذكورة في الحواشي).

(٢) ترجمة ابن عبد الحكم في سير الذهبي ١٢: ٤٩٧.

(٣) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢: ٥٨٧.

والربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي^(١) مولى الأزد، وأظنه صحب الشافعي ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجيزة.

وهذا فهرست كتب الشافعي رضي الله عنه: كتاب الطهارة. كتاب مسألة المنى. كتاب استقبال القبلة. كتاب الإمامة. كتاب إيجاب الجمعة. كتاب صلاة العيدين. كتاب صلاة الكسوف. كتاب صلاة الاستسقاء. كتاب صلاة الجنائز. كتاب الحكم في تارك الصلاة. كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصيام. كتاب الزكاة الكبير. كتاب زكاة الفطر. كتاب زكاة مال اليتيم. كتال الصيام الكبير. كتاب المناسك الكبير. كتاب المناسك الأوسط. كتاب مختصر المناسك. كتاب الصيد والذبائح. كتاب البيوع الكبير. كتاب الصرف والتجارة. كتاب الرهن الكبير. كتاب الرهن الصغير. كتاب الرسالة. كتاب أحكام القرآن. كتاب اختلاف الحديث. كتاب جماع العلم. كتاب اليمين مع الشاهد. كتاب الشهادات. كتاب الإجازات الكبير. كتاب كرى الإبل والرواحل. كتاب الإجازات إملاء. كتاب اختلاف الأجير والمستأجر. كتاب الدعوى واليانات. كتاب الاقرار والمواهب. كتاب ردّ المواريث. كتاب بيان فرض الله عز وجل. كتاب صفة نهى النبي عليه السلام. كتاب النفقة على الأقارب. كتاب المزارعة. كتاب المساقاة. كتاب الوصايا الكبير. كتاب الوصايا بالعق. كتاب الوصية للوارث. كتاب وصية الحامل. كتاب صدقة الحي عن الميت. كتاب المكاتب. كتاب المدبر. كتاب عتق أمهات الأولاد. كتاب الجناية على أم الولد. كتاب الولاء والحلف. كتاب التعريض بالخطبة. كتاب الصداق. كتاب عشرة الصداقة. كتاب تحريم ما يجمع من النساء. كتاب الشغار. كتاب إباحة الطلاق. كتاب العدة. كتاب الإيلاء. كتاب الخلع والنشوز. كتاب الرضاع. كتاب الظهار. كتاب اللعان. كتاب أدب القاضي. كتاب الشروط. كتاب اختلاف العراقيين. كتاب اختلاف علي وعبد الله. كتاب سير الأوزاعي. كتاب الغصب. كتاب الاستحقاق. كتاب الأقضية. كتاب إقرار أحد الابنين بأخ. كتاب الصلح. كتاب قتال أهل البغي. كتاب الأسارى والغلول. كتاب القسامة. كتاب الجزية. كتاب القطع في السرقة. كتاب الحدود. كتاب المرتد الكبير. كتاب المرتد الصغير. كتاب الساحر والساحرة. كتاب القراض. كتاب الأيمان والنذور. كتاب الأشربة. كتاب الوديعة. كتاب العمري. كتاب بيع المصاحف. كتاب خطأ الطبيب. كتاب جناية معلم الكتاب. كتاب جناية البيطار والحجام. كتاب اصطدام الفرسين والنفسين. كتاب بلوغ الرشد.

(١) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢ : ٥٩١.

كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت . كتاب صفة النفى . كتاب فضائل قریش
والأنصار . كتاب الوليمة . كتاب صول الفحل . كتاب الضحايا . كتاب البحيرة
والسائبة . كتاب قسم الصدقات . كتاب الاعتكاف . كتاب الشفعة . كتاب السبق
والرمى . كتاب الرجعة . كتاب اللقيط والمنبوذ . كتاب الحوالة والكفالة . كتاب كرى
الأرض . كتاب التفليس . كتاب اللقطة . كتاب فرض الصدقة . كتاب قسم الفیء .
كتاب القرعة . كتاب صلاة الخوف . كتاب الديات . كتاب الجهاد . كتاب جراح
العمد . كتاب الخرص . كتاب العتق . كتاب عمارة الأرضین . كتاب إبطال
الاستحسان . كتاب العقول . كتاب الأولياء . كتاب الرد على محمد بن الحسن .
كتاب خلاف مالك والشافعی . كتاب قطاع الطريق .

قال: والذي لم يسمعه الربیع من الشافعی رضي الله عنه وأرضاه: كتاب
الوصايا الكبير . كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله . كتاب ديات الخطأ .
كتاب قتال المشركين . كتاب الاقرار بالحكم الظاهر . كتاب الأجناس . كتاب اتباع
أمر رسول الله ﷺ . كتاب مسألة الجنين . كتاب وصية الشافعی . كتاب ذبائح بني
إسرائيل . كتاب غسل الميت . كتاب ما ینجس الماء مما یخالطه . كتاب الأمالي في
الطلاق . كتاب مختصر البویطی ، رواه الربیع عن الشافعی رضي الله عنه .

قافية الهمزة

(١)

دَعِ الْأَيَّامَ ..

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى
تقبل أحكام القضاء وعدم الجزع من حوادث
الزمان ومواجهة الصروف بجلادة الرجل السمح مؤكداً
أن الشدائد حال تزول، ما دام كل شيء يحور ولا
يدوم:

وَطِبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ ^(١)	دَعِ الْأَيَّامَ تَفَعَّلْ مَا تَشَاءُ
فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ ^(٢)	وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
وَشِيَمَتِكَ السَّمَاةُ وَالْوَفَاءُ ^(٣)	وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا
وَسِرِّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ ^(٤)	وَأِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَائِيَا
يُغْطِيهِ - كَمَا قِيلَ - السَّخَاءُ ^(٥)	تَسْتَرُ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ
فَإِنَّ شَمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ	وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا

(١) دَعِ: الأمر من ودع (الشيء): تركه - طِبْ: الأمر من طاب يطيب طيبة وطيباً وتطيباً: لذّ وحلا، وطابت النفس: انشרכת - القضاء: الحكم، جمع أقضية، والمراد هنا قضاء الله أي حكم أقداره.

(٢) لا تجزع: أي أصبر، يقال: جزع منه لم يصبر عليه فأظهر الحزن أو الكدر.

حادثة الليالي: ما تحمله الأيام من الأمور الجديدة ويراد بها غالباً الأمور المنكرة غير المعتادة أو المألوفة - يدعو الإمام الشافعي إلى تحمل مكاره الحياة والصبر عليها لأن لا شيء يبقى على حاله كأنه يستوحى الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الانشراح: ٥ و ٦]

(٣) الأهوال: جمع هول وهو المخافة من الأمر - الجلد: الشديد القوي - الشيمة: الخلق والطبيعة.

(٤) البرايا: جمع برية، الخلق.

(٥) السخاء: الكرم والجود - يغطيه: يستره.

وَلَا تَزُجِ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ
وَرَزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ
دَعِ الْآيَامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ
فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءٌ^(١)
وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ^(٢)
وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءٌ
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ
فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ^(٣)
إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْفَضَاءُ^(٤)
فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

(٢)

لَا تُخْطِي

وقال رضي الله عنه ينهى عن إزدراء الدعاء :

أَتَهْزَأُ بِالْدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ
وَمَا تَذَرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ^(٥)
لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ أَنْقِضَاءُ^(٦)

(٣)

جَهْدُ الْبَلَاءِ

وقال رضي الله عنه محدداً مصدر البلاء في حب النساء :

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي النِّسَاءِ وَقَالُوا
إِنَّ حُبَّ النِّسَاءِ جَهْدُ الْبَلَاءِ^(٧)

(١) الظَّمْآنُ: العطشان - شبه الشافعي السباحة بالماء وقال ما دامت النار لا تعطي الظمآن ماء كذلك البخيل لا يوجد بالسباحة.

(٢) التَّائِي: الأناة والتمهل - العناء: التعب الشديد.

(٣) يقول إذا أزفت المنية فلا يقيك منها أرض ولا سماء وهو مضمون الآية الكريمة: ﴿يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مَشِيدَةٍ﴾ [سورة النساء: الآية ٧٧].

(٤) القضا: مخفف القضاء.

(٥) تزدريه: تمتهته، تحتقره، من ازدري وزري زراية فهو زار أو مزدري.

(٦) الأمد: الغاية ومنتهى الشيء وجمع الأمد الآماد - الانقضاء: الانتهاء أو النهاية.

(٧) البلاء: الاختبار يكون بالخير أو الشر، والبلاء الغم الذي يبدو كأنه يبلي الجسم وهو المقصود هنا.

لَيْسَ حُبُّ النَّسَاءِ جَهْدًا وَلَكِنْ قُرْبُ مَنْ لَا تُحِبُّ جُهْدُ الْبَلَاءِ^(١)

(٤)

وَاحْشِرَةَ لِلْفَتَى

قال الإمام الشافعي لا سرور يعدلُ صحبة
الإخوان، ولا غم يعدلُ فراقهم والغريبُ من فقد
إلفه، لا من فقد منزله، وفي هذا المعنى يقول:

وَاحْشِرَةَ لِلْفَتَى سَاعَةً يَعِيشُهَا بَعْدَ أَوْدَائِهِ^(٢)
عُسْرُ الْفَتَى لَوْ كَانَ فِي كَفِّهِ رَمَى بِهِ بَعْدَ أَحْبَائِهِ

(١) يقول ليس الحب مصدر الجهد أي المشقة بل بعد المحبوب أو قرب من لا نحب هو البلاء والجهد أي الغم والعناء.

(٢) الأوداء: الأحباء والأصحاب جمع وديد، والوديد الحبيب يقول: لو كان المرء يملك عمره ويقدر على امتلاكه والتصرف به لكان حرياً أن يطرحه أو يرميه إذا افتقد أحباءه.



(٥)

وُقُوفُ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ

ومما قاله في الحث على السفر والاغتراب
سعيًا وراء شريف المطلب واكتساباً لتجربة
الأيام رابطاً ذلك بظاهرة التحول وهي سنة الكون
والوجود:

ما في المُقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ قَدَعَ الْأَوْطَانَ وَاعْتَرَبَ^(١)
سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَأَنْصَبَ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبْ^(٢)
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبْ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُنْجَمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
وَالْتَبَرُ كَالْتَرَبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ^(٣)
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ

(١) المُقَام: (بضم الميم): الإقامة مكاناً وزماناً والمَقَام (بفتح الميم): المنزل - يقول: لا راحة للمقيم في المكان لا يبرحه فعلى العاقل ما دامت الراحة غير موفورة بالبقاء في موطن ما - أن يتحمل أعباء السفر والاغتراب لأن لذة العيش في النصب أي التعب والعناء.

(٢) وقوف الماء: ركوده، عدم جريه - ساح الماء: سال وجرى - يشبه بقاء الإنسان في موطنه لا يبرحه بالماء الراكد الذي يفسده وقوفه، بينما يطيب ويعذب إذا هو جرى أو ساح.

(٣) التبر: الذهب - ملقى في أماكنه: مطروح - العود: أي عود البخور - يقول إن الذهب إذا بقي في مكانه ظلّ عديم النفع كالتراب مثل عود البخور ليس أكثر قيمة من الحطب في أرضه فإذا تغرّب هذا أو ذاك صار عزيز القيمة والمطلب.

(٦)

بَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ

جاء في معجم الأدباء قول الإمام الشافعي في
الفروق بين الناس في العقل والأدب والحسب

- أَصْبَحْتُ مُطْرَحاً فِي مَعْشَرٍ جَهْلُوا حَقَّ الْأَدِيبِ فَبَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ^(١)
وَالنَّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ، وَبَيْنَهُمْ فِي الْعَقْلِ فَرْقٌ وَفِي الْأَدَابِ وَالْحَسَبِ^(٢)
كَمَثَلِ مَا الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ يَشْرِكُهُ فِي لَوْنِهِ الصُّفْرُ، وَالتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ^(٣)
وَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَطْبُ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ^(٤)

(٧)

جَرَدْتُ صَارِماً

ومن خواطر الإمام الشافعي في طبائع الناس
وتباينهم في الأخلاق والعادات وترفعه عن صحبة
البخيل لائذا بإيمانه وغنى ذاته:

- بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ سِوَى مَنْ عَدَا وَالْبُخْلُ مَلَأَ إِهَابِهِ^(٥)
فَجَرَدْتُ مِنْ غَمْدِ الْقَنَاعَةِ صَارِماً قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِذُبَابِهِ^(٦)
فَلَا ذَا يَرَانِي وَاقِفاً فِي طَرِيقِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي قَاعِداً عِنْدَ بَابِهِ
غَنِيٌّ بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

(١) مطروحاً: مُلقًى، مرمياً - معجم الأدباء لياقوت ٣١٩/١٧.

(٢) الشَّمْلُ: مصدر شمل شمالاً وشَمَلَا وشَمَلَا الأمرُ القومَ: عَمَهُم - الحسب: جمع أحساب، شرف الأصل.

(٣) الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ: الذهب الخالص - يَشْرِكُهُ: يشاركه - الصُّفْرُ: النحاس.

(٤) يقول: شأن الفرق بين الناس في الأدب والحسب كشأن عود البخور لولا طيب رائحته لما ميز الناس بينه وبين أعواد الحطب.

(٥) بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا: اختبرتهم وجرّبتهم وبلوتهم أيضاً: امتحنتهم من بلا بلوا وبلاء الرجل: اختبره - الإِهَاب: الجلد، أو ما لم يدبغ منه.

(٦) جَرَدْتُ: سللت - الغمد: جفن السيف، وقوله: غمد القناعة من باب المجاز والاستعارة - الصارم: السيف القاطع - قطعت رجائي منهم: يئست، والرجاء: ضد اليأس - بذبابه: أي بحدّه، أي بحدّ السيف أو طرفه.

إِذَا مَا ظَالَمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا وَلَجَّ عُتُوًّا فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ^(١)
فَكَلَهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَإِنَّهَا سَتَدْعِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ^(٢)
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا يَرَى النَّجْمَ تِيهًا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ^(٣)
فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفْلَاتِهِ أَنَاخَتْ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِبَابِهِ^(٤)
فَأُضْبِحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى وَلَا حَسَنَاتٍ تَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ^(٥)
وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوْطَ عَذَابِهِ^(٦)

(٨)

يُقَاسُ بِطُفْلِ

وقال رضي الله عنه :

أَرَى الْغِرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ فَاضِلًا تَرَقَّى عَلَى رُوسِ الرِّجَالِ وَيَخْطُبُ^(٧)
وَأِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ يُقَاسُ بِطُفْلِ فِي الشُّوَارِعِ يَلْعَبُ

(١) استحسن الشيء: وجده حسناً - المذهب: النهج والطريقة - لجج في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه ولجج به الهم: ألح عليه ولجج لججا ولجاجة ولجاجة عند في الخصومة أو تمادى في العناد. يقال لجج على فلان في الطلب: ألح عليه - العتو: التمرد، والتكبر من عتا يعتو فهو عات أي متجبر، والعاتي الذي يبالغ في العصيان، جمع عتاة وعتي. يقال ليلة عاتية شديدة الظلمة وحاكم عاتٍ شديد القسوة لا يلين.

(٢) كَلَهُ إِلَى: كل الأمر من وكل يكمل وكللا ووكلاً إليه الأمر: سلّمه وتركه وفوضه إليه واكتفى به - صرف الليالي أو صرف الدهر وصروفه: نوائبه وحدثاته - ما لم يكن في حسابه أو حسابانه: أي ما لم يكن في ظنّه.

(٣) تيهًا: زهواً وتكبراً من تاه يتيه تيهًا: تكبر وتجبّر - الرّكاب: ما يعلّق في السرج فيجعل الرّكاب فيه رجله.

(٤) الغفلات: جمع غفلة مصدر غفل غفولاً عن الشيء: سها عنه وتركه والغفلة الإهمال.

(٥) في كتابه: أي في كتاب أعماله أي صحيفة أعماله وقدره.

(٦) جوزي: نال جزاءه، أي نتيجة عمله وفعله - صبّ عليه سوط العذاب: أي العذاب الشديد كما في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [سورة الفجر: الآية ١٣].

(٧) الغرّ (كما جاء في لسان العرب): الذي لا يظن للشر ويغفل عنه لأنه غير مجرب والغرّ والغرير: الشاب الذي لا تجربة له وفي الحديث: المؤمن غرّ كريم والكافر خبّ، والخبّ ضد الغرّ وعن ابن الأعرابي: أنت غرّ والجارية غرّ إذا تصابيا، والغرة الغفلة - ترقى على: ارتقى، علا.

(٩)

أَنْتَ حَسْبِي

ومما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه :

أَنْتَ حَسْبِي وَفِيكَ لِلْقَلْبِ حَسْبُ وَلِحَسْبِي إِنْ صَحَّ لِي فِيكَ حَسْبُ^(١)
لَا أَبَالِي مَتَى وَذَاكَ لِي صَحَّ مِنْ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خَطْبُ^(٢)

(١٠)

خَبْرًا الْمُنَجِّمَ

وقال الشافعي مسقهاً قول كل منجم مؤكداً كفره
بالتنجيم وإيمانه بالقضاء الإلهي .

خَبْرًا عَنِّي الْمُنَجِّمَ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَيْتُهُ الْكَوَائِبُ^(٣)
عَالِمًا أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ قَضَاءً مِنَ الْمُهِمِّنِ وَاجِبُ^(٤)

(١١)

خَالَفَ هَوَاكَ

وقال الشافعي يدعو إلى عدم ركوب مطية الأهواء
لأنها الطريق إلى المغالط والعيوب :

إِذَا حَارَ أَمْرُكَ فِي مَغْنَيْنِ وَلَمْ تَدْرِ حَيْثُ الْخَطَا وَالصَّوَابُ

(١) الحسب: الكفاية . وفي البيت إيراد لعدد من الجناسات من اشتقاق حسب ومن معانيها العذ والعلم والأجر والظن وسواها، وتفهم من سياق البيت .

(٢) لا أبالي : لا أكرث ، لا أهتم - الوداد : مصدر وَذَّ وَذًا وَوَذًا . (فلاناً) : أحبه يقال : وددت : لو فعلت ذلك : أي تمنيت - الخطب : الشأن والخطب : الأمر عظم أو صغر ، ويغلب استعماله للأمر العظيم المكروه ، والجمع خطوب .

(٣) كافر بالذي قضته الكواكب : أي غير مؤمن بما يزعمه المنجمون من معرفتهم بحفظ الناس حسب نظرهم إلى النجوم وأوضاعها .

(٤) يقول : أنه عالم بأن ما كان في الماضي وما سيكون مستقبلاً إنما جميعه قضاء من الله ، والقضاء الحكم - المهيمن : من أسماء الله الحسنى أي ذو السطوة والقدرة .

فَخَالَفَ هَوَاكَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النَّفْسَ إِلَى مَا يُعَابُ^(١)

(١٢)

تَمُوتُ الْأُسْدُ جُوعاً

وقال الشافعي مؤكداً دور الحظ في مفارقات الوجود:

تَمُوتُ الْأُسْدُ فِي الْعَابَاتِ جُوعاً وَلَحْمُ الضَّانِ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ^(٢)
وَعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ وَدُوْا نَسَبٍ مَقَارِشُهُ الثَّرَابُ^(٣)

(١٣)

تَزَايَدَتْ رِفْعَةً

وقال الإمام الشافعي ضارباً بنفسه المثل في الترفع عن الأنزال متشبهاً برفعته وإياه:

إِذَا سَبَّني نَذَلْتُ تَزَايَدَتْ رِفْعَةً وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِئَةً^(٤)
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً لَمَكْنَتْهَا مِنْ كُلِّ نَذَلٍ تُحَارِبُهُ^(٥)
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْعَى لِتَنْفَعِي وَجَدْتَنِي كَثِيرَ التَّوَانِي لِلَّذِي أَنَا طَالِبُهُ^(٦)

(١) الهوى (هنا): ميل النفس إلى ما تستلذّ جمع الأهواء وغلبت اللفظة على ما ليس محموداً وأهل الأهواء أهل البدع - يقول: خالف هواك أي لا تتبع ما تملّيه عليك ميول نفسك لأنها تقودك إلى ما يعاب أو يذم.

(٢) الضّان: اسم جنس لخلاف الماعز من الغنم، والضّان من الغنم: ذو الصوف - يصوّر مفارقات الحياة بأسلوب لا يخلو من الرمز فالأسود رمز للكرام من العلماء والأولياء والكلاب رمز لذوي اللؤم والخساسة فهو يعجب من التباين بين واقع الأخيار وواقع الأراذل وموت أولئك جوعاً بينما الكلاب تأكل لحوم الأغنام وقوله هذا شبيه بقول ابن الرومي هاجياً:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَيَخْفِضُ كُلَّ ذِي زَنْةٍ شَرِيفَةٍ
كَذَاكَ الْبَخْرُ يَرْسُبُ فِيهِ دُرٌّ وَلَا تَنْفَكَ تَطْفُو فِيهِ جِيفَةٌ

(٣) العبد: أراد بالعبد الدنيء، الذي لا يملك الأصالة والحسب. وهو هنا نقيض ذي النسب. وهذا البيت مماثل في معناه لسابقه والشافعي ينتقد من خلاله ظواهر الباطل والظلم في الواقع الإنساني.

(٤) سبّني: شتمني، من السبّ والسب لغة الشتم الوجع - النذل: الخسيس، الحقير - يقول: كلما شتمني ذو خسة تطاولت رفعة لأنني أرى العيب في مشاتمته ومبادلته السباب.

(٥) النفس العزيزة: نقيض الذليلة أو الممتهنة - مكّنه منه: جعل له عليه سلطاناً وقدرة.

(٦) التّواني: الفتور والتقصير وعدم الاهتمام.

وَلَكِنِّي أَسْعَى لَأَنْفَعِ صَاحِبِي وَعَارَ عَلَى الشُّبَّعَانِ إِنْ جَاعَ صَاحِبُهُ^(١)

(١٤)

مِنَ الْبَلِيَّةِ

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أنَّ الإمام
الشافعي كان يمازح زوجة له مكينة بقوله:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُحِـ
بَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ^(٢)
وَيُضِدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ
وَتُلِحُّ أَنْتَ فَلَا تُغِبُّهُ^(٣)

(١٥)

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي

ومن خواطر الشافعي وقد رأى بياض الشيب في
مفرق رأسه:

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي
أَيَا بُومَةٍ قَدْ عَشَّشَتْ فَوْقَ هَامَتِي
رَأَيْتِ خَرَابَ الْعُمَرِ مَنِّي فَزُرْتَنِي
وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا^(٤)
عَلَى الرَّغَمِ مَنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا^(٥)
وَمَأْوَاكِ مِنْ كُلِّ الدِّيارِ خَرَابُهَا
طَلَأَتْ شَيْبَ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا^(٦)

(١) يقول: أنه حريص على أن يكون نافعاً لأصحابه ويرى العار في أن يشع بينما صاحبه يعاني من السَّغب والجوع.

(٢) البليَّة: المصيبة - يقول: إنها لمصيبة شديدة الوطأة أن يكون الحب من طرف واحد، أي غير متبادل.

(٣) صَدَّ يَصْدُ بوجهه عنه: أعرض ومال - تُلِحُّ أَنْتَ: تواظب - تَغِبُّهُ: من غبَّه أي زاره غباً: جاءه وتركه يوماً - يقارن بين المحب الصادق الودود وذو الصدود وكيف يزور أحدهما عن الآخر والآخر ملحاح لا يغب ولا يتباطأ.

(٤) خبت النار: خمدت وسكنت وطفئت - يقول: إن نار نفسه خمدت باشتعال نار الشيب في مفارقة، والمفارق جمع مفرق وهو وسط الرأس، والاشتعال، والإظلام وشهاب المفارق كلها من باب المجاز والاستعارة شبه الشيب لبياضه بالشهب واعتبر ظهوره سبباً في خمود نار النفس.

(٥) البومة والبوم: طائر يسكن الخراب وكلاهما للذكر والأنثى يضرب به المثل في الشؤم - عَشَّشَتْ: اتخذت عشاً - الهامة: الرأس - الغراب: طائر أسود اللون، شبه به الشعر الأسود - يقول: إن ظهور الشيب في رأسي وزوال أسوداد شعري نذير شؤم وخيل إليه أن بومة قد اتخذت لها عشاً فوق هامته.

(٦) العارض: صفحة الخد أو جانبه وهما اثنان واحد في كل جهة والعارض أيضاً شعر صفحة الخد - ليس =

وَعِزَّةُ غُمْرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيبِهِ إِذَا اضْفَرَّ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
 إِذَا اضْفَرَّ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ فِدْعُ عَنْكَ سَوَاءِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
 فِدْعُ عَنْكَ سَوَاءِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا وَأَذْ زَكَاةَ الْجَبَاءِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
 وَأَذْ زَكَاةَ الْجَبَاءِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا وَأَحْسَنُ إِلَى الْأَخْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
 وَأَحْسَنُ إِلَى الْأَخْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنَكِبِ الْأَرْضِ فَاحِرًا
 وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنَكِبِ الْأَرْضِ فَاحِرًا وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا
 وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا
 فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
 وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا
 فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا فَطُوبَى لِنَفْسٍ أُولَعَتْ قَعْرَ دَارِهَا

(١٦)

أَزِيدُ حِلْمًا

وقال الإمام الشافعي يصف كيف يقابل خطاب
 السفه إياه بالحلم الجميل:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا

= يعني: لا يجدي - الخضاب: ما يصعب به الشعر - يقول: كيف أنعم بالعيش وقد ظهرت طلائع الشيب
 في عارضتي ولم يجد الخضاب نفعاً في ستره والاحتيا لاختفائه.

(١) تَوَلَّى الشَّبَابُ: مَضَى وَذَهَبَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ.

(٢) تَنَقَّصَتِ الْأَيَّامُ: تَكَدَّرَتْ وَبَاتَتْ سَيِّئَةً - الْمُسْتَطَابُ مِنَ الْأَيَّامِ: مَا كَانَ طَيِّباً مِنْهَا أَيْ هَانِئاً.

(٣) دَعِ عَنْكَ: أَتْرِكْ - سَوَاءُ الْأُمُورِ: جَمْعُ سَوْءَةٍ وَهِيَ الْخَلَّةُ الْقَبِيحَةُ، الْعَوْرَةُ، ارْتِكَابُ السَّوْءِ.

(٤) أَذْ: الْأَمْرُ مِنْ أَذَى يُؤْذِي (الزُّكَاةُ): أَعْطَى وَقَدَّمَ - النَّصَابُ: الْحَصَّةُ أَوْ الْمَقْدَارُ الَّذِي يُوجِبُ الزُّكَاةَ.

(٥) أَحْسَنُ إِلَى الْأَحْرَارِ: عَامِلُهُمْ بِإِحْسَانٍ وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: أَحْسَنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا
 اسْتَعِيدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانًا - الْكَرَاءُ: أَجْرَةُ الْمُسْتَأْجَرِ.

(٦) لَاحَ: بَدَأَ وَظَهَرَ - السَّرَابُ: مَا يَشَاهِدُ نَصْفُ النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ تَنَعَّكُسُ فِيهِ الْبُيُوتُ
 وَالْأَشْجَارُ وَغَيْرُهَا. وَيَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكُذْبِ وَالْخُدَاعِ فَيَقَالُ فُلَانٌ أَخْدَعُ مِنَ السَّرَابِ وَيُقَالُ لِلْسَّرَابِ
 الْآلَ، وَقِيلَ الْآلَ يَكُونُ وَقْتُ الضُّحَى، وَلَكِنْ الْأَصْمَعِيُّ يَعْتَبِرُ الْآلَ وَالسَّرَابَ وَاحِدًا.

(٧) الْجِيفَةُ: جَثَّةُ الْمَيِّتِ الْمُنْتَنَةِ - بَشَبَهُ الدُّنْيَا بِالْجِيفَةِ كَمَا بَشَبَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِهَا بِالْكَلابِ الَّتِي تَنْهَشُ فِيهَا، ثُمَّ =

يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ جِلْمًا كُودُ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَيْبًا
(١٧)

وإن سَلِمْتُ

وقال يصف علو همته وبعد طموحه وإزماعه تحمّل
العناء لنيل أمانيه في الحياة:

سَأُضْرَبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أُمُوتُ غَرِيبًا^(١)
فَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمْتُ كَانَ الرُّجُوعُ قَرِيبًا^(٢)

(١٨)

... تَهَيَّبُوهُ

جاء من أقواله في حلية الأولياء للأصفهاني^(٣):

وَمَنْ هَابَ الرُّجَالَ تَهَيَّبُوهُ وَمَنْ حَقَّرَ الرُّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا^(٤)
وَمَنْ قَضَتِ الرُّجَالَ لَهُ حُقُوقًا وَمَنْ يَغْصِ الرُّجَالَ فَمَا أَصَابَا

= يدعو في البيتين التاليين إلى اجتناب هذه الجيفة الثنتة أي الدنيا الفاسدة.

(١) ضرب في البلاد، أو في طولها وعرضها: خرج مسافراً أو تاجراً أو غازياً - المراد: المطلوب، المبتغى.

(٢) تلفت: هلك - لله درها: أي الله ما خرج منها من خير، والدرّ اللبن وكثرة اللبن - يدعو إلى السعي والتنقل في البلاد في سبيل الكسب أو اكتساب خبرات جديدة ويتقبل المصير تلفت نفسه أو سلمت.

(٣) راجع حلية الأولياء للأصفهاني ص ٨٢ الجزء ٩.

(٤) هاب الرجل تهيبوه: خافوه وعظموه وحذروه - حقرهم: احتقرهم، ازدراهم.



(١٩)

جَزَى اللَّهُ عَنَا . . .

قال الربيع بن سليمان^(١) سمعت الإمام أبا عبد الله
الشافعي يقول:

جَزَى اللَّهُ عَنَا جَعْفَرًا حِينَ أْزَلَفَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فْزَلَّتِ^(٢)
هُمْ خَلَطُونَا بِالتَّفُوسِ وَالْجَاوَا إِلَى حُجْرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَلَّتِ^(٣)
أَبَوَا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنْ أَمَنَا تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ^(٤)
وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنَا وَتَنْجَلِي الْغَمَاءُ عَمَّا تَجَلَّتِ^(٥)
وَمَنْ بَعْدَ مَا كُنَّا لِسَلْمَى وَأَهْلِهَا عَبِيداً وَمَلَّئْنَا الْبِلَادُ وَمَلَّتِ

(١) نقلاً عن كتاب الرازي «آداب الشافعي ومناقبه» والربيع بن سليمان هو أبو محمد بن عبد الجبار المرادي وكان من أصحاب الشافعي روى عنه الكثير من أخباره وكتبه وكانت وفاته في مصر سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م).

(٢) أزلفت بنا نعلنا: قُرِبت وقَدِّمت، من أزلفه: قربه، والثلاثي المجرد زلف زلفاً وزليفاً: تقدّم وتقرب وزلف الشيء قدّمه، وفي الكلام: زاد - الواطئين جمع واطيء: اسم فاعل من وطيء أي داس - زلت النعل: زلقت وسقطت.

(٣) ألجأه (وهم الجأوا): لجأ، عصم - الحجرات: جمع الحجرة وهي الغرفة، سميت حجرة لأنها تحجر الإنسان النائم أي تمنعه.

(٤) تلاقى: تجدد.

(٥) هلموا: كلمة بمعنى الدعاء إلى شيء كتحال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كما الحال هنا - تبينوا: تبينوا، من تبين الأمر تعرفه وتأمله - تنجلي الغماء: تنكشف - الغماء: الحزن والكرب - وليلة غمءاء: طامس هلالها. وقال الرازي في كتابه مناقب الشافعي: إن هذه المقطوعة من الشعر الذي كان الإمام الشافعي يردده باستمرار هي لطفي الغنوي أحد شعراء الجاهلية.

النَّاسُ دَاءٌ

وقال الإمام الشافعي يصف سمو أخلاقه وهي
عنوان الآداب الإسلامية والإنسانية المثلى:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ^(١)
إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِإِدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغِضُهُ كَمَا إِنْ قَدْ حَسَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ^(٢)
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي اغْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ^(٣)

لَيْسَ عِنْدِي . . .

وقال الشافعي معبراً عن ألمه إذا عجز عن إسعاف
ذوي الحاجة من أهل المروءات^(٤):

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفَرَّقَهُ عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرَوَّاتِ^(٥)
إِنَّ اعْتِزَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي لَيْسَ عِنْدِي لِمَنْ إِخْدَى الْمُصِيبَاتِ^(٦)

(١) لم أحقد: لم اضغن، أي لم أحمل الضغينة والعداوة الراسخة والثابتة في القلب - أرحت نفسي: جعلتها تراح.

(٢) البشر: بشاشة الوجه - حسا قلبي: ملأه.

(٣) اعتزال الناس: البعد عنهم - يقول: إن معاشرته الناس وقربهم داء لا دواء له إلا اعتزالهم، علماً بأن الاعتزال يؤدي أيضاً إلى قطع روابط المودة.

(٤) انظر الشبلنجي: نور الإبصار، أيضاً: الرازي: مناقب الشافعي.

(٥) الالهف: الحزن والتحسر من لهف يلهف لهفاً على أي أصابته الحسرة على ما فات وانقضى، ويقال: والهفتاه كما يقال وانفساه وأمياه من لهف نفسه أو أمه. ومثل لهف تلهف، تلهف عليه: تحسر وتحرق حزناً - على المققلين: على المعوزين ذوي الحاجة والمسألة.

(٦) يرى الشافعي: أن الاعتذار للمحروم الذي يسأله العون، بعدم امتلاك المال أو الفقر مصيبة من المصائب ولهذا يندب حظّه لقلة ذات يده ولذا قال: يا لهف نفسي . . .

(٢٢)

كَبُرَ عَلَيْهِ

قال الإمام الشافعي يدعو إلى تحمّل صعب التعلم
دفعاً لذلّ الجهل ووطناته في الحياة:

- إصْبِرْ عَلَى مُرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ^(١)
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ^(٢)
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ فَكَبُرَ عَلَيْهِ أَرْبَعاً لَوْفَاتِهِ^(٣)
وَذَاتُ الْفَتَى - وَاللَّهِ - بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اِعْتِبَارَ لَذَاتِهِ^(٤)

(٢٣)

مَنْ لِي بِهِذَا؟

وقال الإمام الشافعي يصف شمائل الإخوان
الصادقين والأصدقاء الأوفياء القمينين بالود والثقة:

- أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي وَكُلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي^(٥)
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي^(٦)

- (١) الجفا: مخفف الجفاء من جفا يحفوا جفوا وجفاء فلاناً: أعرض عنه - رسوب العلم: ثباته في قرارة النفس والرسوب مصدر رسب (بالفتح) ورُسب (بالضم) رسوباً ورسباً الشيء في الماء: سقط إلى أسفله وأرسب الشيء حطه إلى أسفل، فاستخدم الفعل مجازاً فقليل: رسب في الامتحان أي سقط ولم ينجح - النفرات: جمع نفرة وهي المرة من نفر يقال: نفر نفرأ من كذا: أنف منه وكرهه ونفره: جعله ينفّر.
- (٢) يقول: ما لم يذق المرء مرارة التعلّم فإنه يبقى طول حياته يتجرّع الذلّ الناشئ عن الجهل.
- (٣) فاته التعليم وقت الشباب: جاوزه وذهب عنه - يؤكد الشافعي أن التعلّم أكثر رسوخاً في الصغر زمن الفتوة والشباب ومن هنا قيل «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وهذا الرأي من المبادئ التي نادى بها المربّون قديماً وحديثاً وهو منوط بما في الحادثة من يقظه في الحسّ والملكات فإذا جاوز المرء هذه السن تلبّد الذهن واستعصمت عملية التعلّم.

(٤) يؤكد قيمة العلم والتقى في تكوين الذات الصالحة، فلا اعتبار لذات لم تفز بهما.

(٥) المواتي: الموافق من أتى مؤاتاة (فلاناً) على الشيء: وافقه عليه - وآناه: جاره - غضيض (فعليل) الطّرف: الذي بغضّ طرفه أي يخفضه ويكفّه ويكسره، وغضّ الطرف: منع بصره مما لا يحلّ له رؤيته - العثرات: الزلاّت والسقطات.

(٦) يقول الشافعي: إن أحبّ الإخوان إليه ليس الذي يجاريه ويغض طرفه عن عيوبه بل الذي يحفظه حياً =

فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ لَقَّاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ^(١)
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ عَلَى كَثَرَةِ الْإِخْوَانِ أَهْلُ ثِقَاتِي^(٢)

(٢٤)

آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي

ورد في كتاب «نور الأبصار»^(٣) للشبلنجي قول
الشافعي يذكر توسله بآل بيت النبي ورجاءه المعقود
عليهم:

آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي وَهُمْو إِلَيْهِ وَسِيلَتِي^(٤)
أَرْجُو بِهِمْ أَغْطَى عَدَا بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي^(٥)

(٢٥)

النَّاسُ بِالنَّاسِ

ومن شعر الإمام الشافعي في الحَضِّ على المكارم
ومحامد النفس قوله:

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاةُ بِهِمْ وَالسَّغْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَهَبَاتُ^(٦)

= وميتاً أي لا يطعن به ولا يستغيبه ويصون سمعته حتى بعد مماته.

(١) قوله: من لي بهذا؟ تعبير عن ندورة وجود مثل هذا الأخ أو الصاحب. وهو يتمنى أي يصيب في دنياه
مثل هؤلاء الإخوان أو واحداً على الأقل يقاسمه أي يشاركه ما يمتلك من الحسنات.

(٢) تصفَّح الإخوان: تأملهم ونظر فيهم ملياً ليتعرَّف أمورهم - يقول: إنه لم يجد بعد أن تعرف أمور إخوانه
إلا القليل منهم الذي يستحق أن يحضه الثقة.

(٣) الشبلنجي نور الإبرار في مناقب آل بيت النبي المختار.

(٤) الذريعة: جمع ذرائع، الوسيلة. يقال: هو ذريعتي إلى فلان: أي هو وسيلتي. يقال: تذرَّع بذريعة: أي توسَّل بوسيلة.

(٥) الصحيفة: جمع صحائف وصحف: القُرطاس المكتوب - يقول: إن آل بيت النبي وسيلته وذريعته إلى حسن
المآب والمصير وبحبهم ورضاهم يرجو أن يعطى يوم الحساب صحيفة يمينه فيكون من المرضي عنهم لا
المغضوب عليهم. وقوله: بيمينه اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾
[الإسراء: ٧١]، وقوله أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يَحْسَابُ حِسَاباً يَسِيرًا، وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-١١].

(٦) تارات أو تير (بالياء) وتثر (بالحمز): جمع تارة. يقال: تارة بعد تارة أي حيناً بعد آخر أو مرة بعد مرة -
الهبات: جمع هبة وهي المرة من هب أي ثار وهاج، وهب من النوم انتبه واستيقظ.

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ^(١)
 لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ^(٢)
 وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جَعَلْتَ إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
 قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ^(٣)

(٢٦)

لَا تُجِبْهُ

وقال الإمام الشافعي ناهياً عن مخاطبة السفية
 ناصحاً بأن يكون مكوتك هو الجواب على نطقه:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيَّةُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ^(٤)
 فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَجَّتْ عَنْهُ وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ^(٥)

(٢٧)

قَدْ ضَلُّوا

وجاء في خزينة الأسرار لمحمد النازلي رأي
 الشافعي بالقضاة الذي باعوا الدين بالدنيا^(٦):

قُضَاةُ الدَّهْرِ قَدْ ضَلُّوا فَقَدْ بَانَتْ خَسَارَتُهُمْ
 فَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا فَمَا رِبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ^(٧)

-
- (١) الورى: الناس - تقضي الحاجات للناس: أي تصنع من قضي حاجة فلان: أتمها وفرغ منها.
 (٢) المعروف: العرفان، أي الجود وكل ما تعطيه - السعد: نقيض النحس.
 (٣) يقول: كم أناس ماتوا وظلت أمجادهم حيّة يذكرون بها بينما يعيش قوم وكأنهم أموات في الناس.
 (٤) السفية: الجاهل، عديم الحلم، الرديء الخلق - يدعوا الشافعي إلى عدم الردّ على السفية الجاهل فالسكوت أنجع في التعامل معه من الإجابة والكلام.
 (٥) خلّيته: تركته، أو لم تجبه - الكمد: الحزن الشديد والهم - يقول: إن الردّ على السفية فرج له ولكن السكوت يميته كمدًا.
 (٦) انظر محمد حقي النازلي: خزينة الأسرار والخزينة المباركة والمراد بقضاة الدهر هنا أولئك الذين لا غرض لهم من إصدار الأحكام إلا كسب الوجاهة في الدنيا.
 (٧) قد ضمن الإمام الشافعي هذا البيت معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

(٢٨)

ما عَطَفُوا

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «حَلِيةِ الْأَوْلِيَاءِ» نَقْلًا
عَنْ أَبِي نَصْرٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَخِي
وَهْبَ يَقُولُ:

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ أَنْسَأَ بَعْدَمَا كَانُوا سُكُوتًا^(١)
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلِ وَلَا عَرَفُوا لِمَكْرَمَةٍ تُبُوتًا^(٢)

(٢٩)

يَحْمِي حِمَاهُ

قَالَ الشَّافِعِيُّ مُشِيدًا بِنَاءَ بَيُوتِ اللَّهِ نَاصِحًا بِالتَّمَاسِ
الْخَيْرِ عَنْهُمْ دُونَ سِوَاهُمْ:

إِذَا رُمَتْ الْمَكَارِمُ مِنْ كَرِيمٍ فَيَمُّنْ مِنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا^(٣)
فَذَاكَ اللَّيْثُ مِنْ يَحْمِي حِمَاهُ وَيُكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيًّا وَمَيْتًا^(٤)

(١) انظر حلية الأولياء للحافظ الأصبهاني (١٤٠/٩) - يقول: إن الدراهم أنطقت قوماً بعد أن كانوا ساكتين، ولولا المال لظلّوا سادرين في صمتهم أي لما كان لهم وجود يذكر.

(٢) يقول: إنهم لم يقدرُوا ما أنعم الله به عليهم فما أولوا أحداً العطف أو الفضل.

(٣) يَمُّ: الأمر من أم (المكان أو فلاناً): قصده - بنى لله بيتاً: أي بنى مسجداً والمساجد هي بيوت الله.

(٤) يقول: إن باني بيوت الله أشبه بالليث الذي يحمي عربته وهو خليف بإكرام الضيف حياً وميتاً.



(٣٠)

لَرْبِّ نَازِلَةٍ

قال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى عدم القنوط من
رحمة الله فهي الفرج من الضيق إذا استحكمت حلقاته :

ولرَّبِّ نازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعاً وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ^(١)
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فَرَجَتْ، وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

(٣١)

عَدَاوَةُ الشَّعْرَاءِ دَاءٌ

جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان قول الإمام
الشافعي رضي الله عنه :

مَاذَا يُخْبِرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلَهُ إِنْ سِيلَ كَيْفَ مَعَادُهُ وَمَعَاجُهُ^(٢)
أَيَقُولُ: جَاوَزْتُ الْفُرَاتَ وَلَمْ أَنْلُ رِيًّا لَدَيْهِ وَقَدْ طَعْتُ أَمْوَاجَهُ
وَرَقِيتُ فِي دَرَجِ الْعُلَا فَتَضَايَقْتُ عَمَّا أُرِيدُ شِعَابُهُ وَفَجَّاجُهُ^(٣)
وَلتُخْبِرَنَّ خَصَاصَتِي بِتَمَلُّقِي وَالْمَاءِ يُخْبِرُ عَنْ قَدَاهُ زُجَّاجُهُ^(٤)
عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَرِيضِ وَدُرُهُ وَعَلَيَّ إِكْلِيلُ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ^(٥)

(١) النازلة: المصيبة - ضاق ذرعاً: ملّ ويش - المخرج: طريق الخلاص .

(٢) المعاج: الميل من عاج إلى أو على المكان، يعوج عوجاً ومعاجاً: عطف وعاج عن غايته: رجع عنها .

(٣) الشعاب: جمع الشعب وهو الطريق بين جبلين - الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسعة بين جبلين .

(٤) الخصاصة: شدة الفقر - التملق: الرياء أي إظهار خلاف ما في القلب .

(٥) اليواقيت: جمع ياقوت وهو من الحجارة الكريمة وقوله يواقيت القريض من باب الاستعارة - الدر: اللؤلؤ .

تَرْبَى عَلَى رَوْضِ الرُّبَا أَزْهَارُهُ وَيَرُفُّ فِي نَادِي النَّدى دِيبَاغُهُ^(١)
 وَالشَّاعِرُ الْمُنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِحٍ وَالشُّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاغُهُ^(٢)
 وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُغْضِلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ^(٣)

(٣٢)

صَبْرًا جَمِيلًا

ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي اقتبس من الحديث
 قول النبي ﷺ فقال^(٤):

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
 مَنْ صَدَقَ اللَّهَ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا^(٥)

(١) الرُّبَا: جمع رابية، المرتفع من الأرض - الديباج: الحرير.

(٢) المنطيق: ذو المنطق والبلاغة - سَالِحٌ: صفة الحية التي تسليخ جلدها كل عام - اللعاب: الريق -
 المجاج: عصارة الشيء.

(٣) الداء المغضِل: المستعصي.

(٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية.

(٥) لم يَنْلُهُ الْأَذَى: لم يصبه.



(٣٣)

إِنَّ الْجَوَابَ مِفْتَاحُ

قال الإمام الشافعي مبيّناً فضيلة السكوت والصّمت عن الجاهل :

قالوا سكتَ وقد خُوصِمتَ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ^(١)
والصّمتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ وفيه أيضاً لِصَوْنِ الْعِرْضِ إِصْلَاحُ^(٢)
أما تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ؟ وَالْكَلْبُ يُخْشَى لَعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ^(٣)

(٣٤)

مَعَاذَ اللَّهِ

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي^(٤) قوله : حدّث الربيع بن سليمان قال : كنّا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسّم ، ثم كتب فيها ودفعها إليه . قال : فقلنا ليسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها ؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأنا وإذا فيها :

سَلِ الْمَفْتِيَ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزْوَارٍ وَضَمَّةٌ مُشْتَاقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ^(٥)
وقال : وإذا إجابة أسفل من ذلك :

(١) خوصم : المجهول من خاصم مخاصمة (فلاناً) : نازعه وجادله .

(٢) الأحق : الفاسد الرأي أو قليل العقل - صون العرض : حفظه ، والعرض : الشرف والمروءة وكل ما يجب حمايته .

(٣) يُخْشَى الكلب : يرمى بالحجارة والحصى .

(٤) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١٧ / ٣٠٥) .

(٥) المكيّ : نسبة إلى مكّة المكرمة - تزوار : مصدر تزوار القوم زار بعضهم بعضاً فهم يتزاورون - الجناح : الإثم ومنه قولهم : ﴿ لا جناح عليك ﴾ ، وفي القرآن الكريم : ﴿ فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ [النساء : ٢٣] أو قوله تعالى أيضاً : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ [النساء : ١٠] .

أَقُولُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التَّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ^(١)

قال الرِّبيع: فَأَنْكَرْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ أَنْ يَفْتِيَ لِحَدَثٍ بِمِثْلِ هَذَا فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَفْتِي بِمِثْلِ هَذَا شَاباً؟ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا رَجُلٌ هَاشِمِي قَدْ عَرَّسَ هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ - وَهُوَ حَدَثُ السَّنِ، فَسَأَلَ هَلْ عَلَيْهِ بِجَنَاحٍ أَنْ يَقْبَلَ أَوْ يَضُمَّ مِنْ غَيْرِ وَطْءٍ؟ فَأَفْتَيْتَهُ بِهَذِهِ الْفَتْيَا. قَالَ الرَّبِيعُ فَتَبِعْتُ الشَّابَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ مِثْلُ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ، فَمَا رَأَيْتُ فِرَاسَةً أَحْسَنَ مِنْهَا.

(٣٥)

قَاسٍ وَجَهُولُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

فَقِيهًا وَصُوفِيًّا فَكُنْ لَيْسَ وَاحِدًا فَإِنِّي وَحَقُّ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنْصَحُ^(٢)
فَذَلِكَ قَاسٍ، لَمْ يَذُقْ قَلْبُهُ تَقَى وَهَذَا جَهُولٌ، كَيْفَ ذُو الْجَهْلِ يَصْلُحُ؟

(٣٦)

أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ

ذكر البيهقي^(٣) أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْشَدَ

لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَوْلَهُ:

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَرَضِخُ النَّوَى وَشُرْبُ مَاءِ الْقَلْبِ الْمَالِحَةِ^(٤)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ وَمِنْ سُؤَالِ الْأَوْجَةِ الْكَالِحَةِ^(٥)

(١) المعاذ: الملجأ. يقال معاذ الله ومعاذ وجه الله أي أعوذ بالله أو بوجه الله - يقول: وهو يستعيذ بالله إن تقارب القلوب الجريحة لا يذهب التقى ولا يشكل إثمًا.

(٢) الفقيه: العالم بالفقه، والفقيه من كان شديد الفهم عالماً ذكياً، والفقه هو العلم بالشيء والفهم له، والعلم بالأحكام الشرعية - الصوفي (في نظر جماعة الصوفية): من كان فانياً بنفسه باقياً بالله متصلاً بحقيقة الحقائق.

(٣) البيهقي: كتاب مناقب الشافعي (٢/٦٥)، وحسين بن عبد الرحمن هو أبو عبد الله الغزي.

(٤) رَضِخُ: مصدر رَضَخَ النوى أو الحصى: كسره، والرَضِخُ النوى المكسّر - النوى: جمع نواة وهي عجمة التمر ونحوه أي حبّه أو بزره - ماء القلب: جمع قلب وأقلبة وقلْبُ البئر سميت بذلك لأنه قلب ترابها.

(٥) الحرص: الجشع والبخل - الأوجه الكالحة: العابسة - يقول وهو يقسم بالله أولى بالإنسان وأحسن لمروءته وكرامته أن يكسر النوى ويشرب ماء البئر المالحة من أن يكون جشعاً وبخيلاً ويستجدي للؤماء أصحاب الوجوه الكالحة.



(٣٧)

هُوَ الرَّدَى

قال الأصبهاني في «حلية الأولياء»: حدثنا ابن القاسم قال: أُملى علينا الزبير بن عبد الواحد يقول:
سمعت الحسن بن سفيان يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ	فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ ^(١)
وَمَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِضَائِرِي	وَلَا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِمُخْلِدِي ^(٢)
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو فَنَائِي وَيَدَّعِي	بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدَى ^(٣)

(٣٨)

لَمْ أَرْ غَيْرَ شَامِتٍ

جاء في «نور الأبصار»^(٤) أن ابن عبد الحكم قال سمعت أشهب يدهو على الشافعي فذكر ذلك للإمام الشافعي فقال:

وَلَمَّا أَتَيْتُ أَطْلُبُ عَنْدهُمْ أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ ابْتِلَاءِ الشَّدَائِدِ^(٥)

(١) لست فيها بأوحد: أي لست وحيداً.

(٢) ضائري: ضارّي من الضّر وهو ضد التّق - مغلّد: اسم فاعل من أخلده: جعله خالداً أي باقياً على مرّ الأيام.

(٣) الفناء: الزّوال - يدّعي: يزعم - الرّدَى: الموت.

(٤) الشبلنجي نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٧٣.

(٥) ابتلاء الشدائد: اختبارها، والشدائد: المحن والمصائب.

تَقَلَّبْتُ فِي دَهْرِي رَحَاءً وَشِدَّةً وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ
فَلَمْ أَرَ فِيهَا سَاءً نِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيهَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ^(١)

(٣٩)

مَا لَهُمْ عَدَدُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

إِنِّي صَحِبْتُ النَّاسَ مَا لَهُمْ عَدَدُ وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي^(٢)
لَمَّا بَلَوْتُ أَخِلَائِي وَجَدْتُهُمْ كَالدَّهْرِ فِي الْعَدْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ^(٣)
إِنْ غِبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتِمُنِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَعِدِ^(٤)
وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَهُمْ فَرَحِي وَإِنْ رَأَوْنِي بِشَرٍّ سَرَّهُمْ نَكَدِي^(٥)

(٤٠)

قُلْتُ : كَلَا

وقال الإمام الشافعي :

قَالُوا تَرْفُضْتَ قُلْتُ : كَلَا مَا الرِّفْضُ دِينِي وَلَا اعْتِقَادِي^(٦)
لَكِنْ تَوَلَّيْتُ غَيْرَ شَكٍّ خَيْرَ إِمَامٍ وَخَيْرَ هَادِي
إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَلِيِّ رَفْضًا فَإِنَّ رَفْضِي إِلَى الْعِبَادِ^(٧)

(١) الشامت: الذي يفرح ببلية الآخرين.

(٢) ملأ يده: نقيض فرغت يده، كناية عن الامتلاك والثوق.

(٣) بلوت: اختبرت - الأخلاء: الخلان، الأصحاب.

(٤) لم يعد: لم يزر من عاده: زاره في مرضه.

(٥) التكد: الحزن والهم وسوء الطالع.

(٦) ترفض: صار على مذهب الرافضة أو هي فرقة من أصحاب الشيعة، والزوافض هم الذين تركوا قائدهم في حرب أو سواء - الاعتقاد: العقيدة.

(٧) الولي: النصير، الحليف، الصهر، الصديق، المحب.

(٤١)

كَمْ ضَاحِكٍ

وجاء في العمدة^(١): قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

وَمُتَّعِبِ الْعَيْشِ مَرْتاحاً إِلَى بَلَدٍ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ
كَمْ ضَاحِكٍ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدٍ^(٢)
مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْماً فِي بَقَاءِ عَدٍ مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَعْدِ عَدٍ

(٤٢)

عَفَا اللَّهُ

جاء في معجم الأدباء^(٣): قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي
على بعض تلامذته، قال الشيخ: كان الشافعي - رحمه الله تعالى - يوماً من
أيام الحج جالساً للنظر، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها بيتان: قال:
فبكى الشافعي - رحمه الله تعالى - وقال: ليس هذا يوم نظر، هذا يوم
دعاء، ولم يزل يقول: اللهم، اللهم حتى تفرق أصحابه والبيتان هما:

عَفَا اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ أَعَانَ بِدَعْوَةٍ خَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمَيْنِ عَلَى الْوُدِّ
إِلَى أَنْ مَشَى وَاشِي الْهَوَى بِئَمِيمَةٍ إِلَى ذَاكَ مِنْ هَذَا فَرَّالاً عَنِ الْعَهْدِ^(٤)

(٤٣)

حَسْبُكَ حَظًّا

قيل: جاء رجل إلى الشافعي، فقال له: أصلحك الله: صديقك
فلان عليل. فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظتني لمكرمة
ودفعت عني اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال:

أَرَى رَاحَةً لِلْحَقِّ عِنْدَ قَضَائِهِ وَيَثْقُلُ يَوْماً إِنْ تَرَكْتَ عَلَى عَمَدٍ^(٥)

(١) أي العمدة لابن رشيقي.

(٢) هامت: رأسه - الكمد: الحزن الشديد.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٠٦/١٧).

(٤) واشي الهوى: العذول الذي يسعى لفرقة الأختة - العهد: أي عهد الحب والوفاء له.

(٥) روى ذلك ياقوت في معجم الأدباء نقلاً عن خيشمة بن سليمان بن حيدرة.

(٦) قضاء الحق: تأديته وفعله بأحكام - ترك على عمد: أي متعمداً عن سابق تصور.

وَحَسْبُكَ حَظًّا أَنْ تُرَى غَيْرَ كَاذِبٍ وَقَوْلُكَ لَمْ أَغْلَمْ وَذَاكَ مِنَ الْجَهْدِ^(١)
وَمَنْ يَقْضِ حَقَّ الْجَارِ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ وَصَاحِبِهِ الْأَذْنَى عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
يَعِشُ سَيِّدًا يَسْتَعِذُّ النَّاسُ ذِكْرَهُ وَإِنْ نَابَهُ حَقُّ أَتَوْهُ عَلَى قَصْدِ^(٢)

(٤٤)

وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَلَوْلَا الشُّغْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ^(٣)
وَأَشْجَعَ فِي الْوَعَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيدِ^(٤)
وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي^(٥)

(٤٥)

خَمْسُ فَوَائِدَ

وقال رضي الله عنه يعمد فوائد السفر

والاغتراب^(٦) :

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدَ
تَفَرَّجُ هَمٌّ، وَاكْتِسَابُ فِي مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ، وَأَدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَا جِدِ^(٧)

(١) الجهد: المشقة.

(٢) يستعذب الناس ذكره: يجدونه عذبا ويرتاحون لسماعه - نابته الحق: أصابه.

(٣) يزري بالعلماء: يحط من قدرهم - لبيد: هو لبيد بن ربيعة من بني عامر، جاهلي مخضرم من أصحاب المعلقات.

(٤) الوعى: الحرب - الليث: الأسد - آل مهلب وبني يزيد من قادة الحروب في الإسلام.

(٥) الخشية: الخوف والرهبة - الرحمن: الرحيم من أسماء الله الحسنى.

(٦) انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من الزمان (٢/٢٦).

(٧) تفرج الهم: زوال شدته - الماجد: الكريم ذو المروءة.

(٤٦)

لا تَنْقُضِي . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يذكر كثرة محن
الزمان وقلة أعياد السرور فيه :

مَحْنُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ لا تَنْقُضِي وَسُرورُهُ يَأْتِيكَ كالأَعْيادِ^(١)
مَلِكُ الأَكابرِ فَاسْتَرْقَ رِقابَهُم وَتَراهُ رِقاً في يَدِ الأَوْغادِ^(٢)

(٤٧)

خَلَّ الهَمُّ عَنِّي

وقال رضي الله عنه مفوضاً أمره إلى الله مؤمناً
بعنايته غير مهتم بشأن الغد طالما للغد رزقه الجديد :

إذا أَصَبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي فَخَلَّ الهَمُّ عَنِّي يا سَعِيدُ^(٣)
ولا تَخْطُرْ هُمُومٌ عَدِ بِبالي فَإِنَّ عَداءَ لَهُ رِزْقُ جَدِيدُ^(٤)
أَسَلُّمٌ إِنْ أرادَ اللهُ أَمراً فَاتْرُكْ ما أريدُ لِمَا يُريدُ^(٥)

(٤٨)

لا تَيَأَسِنْ . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى الإيمان
بلطف الله وعفوه :

إِنْ كُنْتَ تَعْدُو في الذُّنوبِ جَلِيداً وَتَخافُ في يَوْمِ المَعادِ وَعِيداً^(٦)

(١) محن الزمان: مصائبه ونوائبه - يقول إن مصائب الزمن كثيرة لا تنتهي، لكن حشرات قليلة وهي أشبه بالأعياد لأنها محدودة ومعدودة.

(٢) الأكابر: جمع الأكبر اسم تفضيل من الكبير - استرق رقابهم استعبدتهم - الرق: العبد - الأوغاد جمع وغد وهو المرذول من الناس أو الأحق الضعيف العقل.

(٣) قوت يومي: حاجة يومي من الطعام التي تسد رمقي ويقوم بها بدني - خلَّ الهَمُّ: دع الهَمَّ.

(٤) لا تخطر ببالي: لا أفكر بها.

(٥) يقول: أنني أسلم أمري إلى إرادة الله، جاعلاً إرادتي إرادته.

(٦) الجليد: ضد البليد - يوم المعاد: يوم الحساب والنشور - الوعيد: التهديد.

فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ عَفْوُهُ وَأَفَاضَ مِنْ نِعَمِ عَلَيْنِكَ مَزِيدًا^(١)
 لَا تَيَأْسُنْ مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ فِي الْحَشَا فِي بَطْنِ أُمِّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدًا^(٢)
 لَوْ شَاءَ أَنْ تَصْلَى جَهَنَّمَ خَالِدًا مَا كَانَ إِلَهُمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدًا^(٣)

(٤٩)

الْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ

قيل^(٤): حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدث
 شعيب بن محمد الذبيلي قال: أنشدنا الشافعي:

لَيْتَ الْكِلَابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدًا^(٥)
 إِنَّ الْكِلَابَ لَتَهْدِي فِي مَوَاطِنِهَا وَالْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ، شَرُّهُمْ أَبَدًا^(٦)
 فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بُوْحَدِيهَا تَبَقَّ سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدًا^(٧)

(٥٠)

تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ

قيل^(٨): حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا
 يوسف بن عبد الأحد قال: قلت للمزني كان الشافعي
 يتراوح بين بيتين من الشعر ما هما؟ فأنشدني:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى إِلَهُ إِلَّا مَا أَرَادَ^(٩)
 يَقُولُ الْمَرْءُ فَايْدَتِي وَمَالِي وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

(١) المهيمين: من أسماء الله الحسنى، بمعنى المؤمن الذي يجعل خلقه في أمن من الخوف، والمهيمين القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم - أفاض المزيد من نعمه: جاد وأعطى المزيد منها.

(٢) في الحشا: أي وأنت في أحشاء أمك منذ كنت مضغة.

(٣) تصلى جهنم: أي تصلى نار جهنم - التوحيد: الإيمان بوحداية الله.

(٤) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (١٤١/٩).

(٥) وفي رواية الربيع: وإنا في موضع ليتنا.

(٦) وروي أيضاً: في مراجعها، في موضع في مواطنها.

(٧) وفي رواية الربيع أيضاً فانج في موضع فاهرب.

(٨) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٥١/٩).

(٩) مناه: أمنيته، أي ما يريده ويتمناه.

(٥١)

عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

وقال الإمام الشافعي في عداوة الحساد^(١):

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ
وَمُتْعَبُ الْعَيْشِ مُرْتَاخاً إِلَى بَلَدٍ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ

(١) انظر نور الأبصار للشبلنجي، حيث ورد البيتان الأول والثاني، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/١٠)، حيث ورد البيت الأول مصدراً بقوله: كل العداوة قد ترجى إِمَاتَتِهَا.



(٥٢)

لَسْتُ بِخَاسِرٍ

وقال الشافعي مادحاً سكوته فهو عنده لا خسر فيه :

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتَجَرّاً فَلَزِمْتُهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحاً فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ^(١)
وما الصَّمْتُ إِلَّا فِي الرُّجَالِ مَتَاجِرٌ وَتَاجِرُهُ يَغْلُو عَلَى كُلِّ تَاجِرٍ

(٥٣)

لَا أَذْرِي

جاء في معجم الأدباء^(٢) عن أبي بكر ابن بنت
الشافعي، قال الشافعي بمكة وقد أراد الخروج إلى
مضر :

لَقَدْ أَضْبَحْتُ نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى مِضْرٍ وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ^(٣)
فَوَالله لَا أَذْرِي أَلِفْقُوزٍ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ

(١) يقول لزمت السكوت : لأنه أشبه بمتجر غير خاسر.

(٢) وورد الخبر أيضاً في العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٢/٣)، نقلاً عن أبي سعيد المكي.

(٣) تتوق : تشاق وتحنّ - المهامه : جمع المهمه، والمهمه كما جاء في لسان العرب المفازة البعيدة والجمع مهمام، والمهمه أيضاً : الخرق الأملس الواسع، وعن الليث : المهمه الفلاة بعينها لا ماء فيها ولا أنيس ويقال : المهمه البلدة المقفرة، كما في قول الشاعر :

فِي تَبِهِ مَهْمَةٍ كَأَنَّ صَوْتَهَا أَيْدِي مَخَايِعَةٍ تَكْفَتْ وَتَنْهَدُ
وفي حديث قس : المهمه المفازة والبرية القفر.

(٥٤)

إِلَّا...

وقال داعياً إلى حفظ ماء الوجه وعدم الخضوع إلا للبارئ العظيم:

وَضُنِ الْوَجْهَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخُ ضَعْ إِلَّا لِلطَّيْفِ الْخَبِيرِ^(١)

(٥٥)

...مِثْلُ ظَفْرِكَ

جاء في نور الأبصار^(٢) قول الإمام الشافعي:

مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظَفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ^(٣)
وَإِذَا قَصَصْتَ لِحَاجَةٍ فَاثِقْ صِدْلَ الْمُعْتَرِفِ بِـ^(٤) كُ

(٥٦)

لَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً

وقال رضي الله عنه:

كُنْ سَائِراً فِي ذَا الزَّمَانِ بِسَيْرِهِ وَعَنِ الْوَرَى كُنْ رَاهِباً فِي دَيْرِهِ^(٥)
وَإِذَا غَسِلَ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَاخْذَرْ مَوَدَّتَهُمْ تَنْلُ مِنْ خَيْرِهِ^(٦)
إِنِّي أَطْلَعْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً أَصْحَبُهُ فِي الدَّهْرِ وَلَا فِي غَيْرِهِ
فَتَرَكْتُ أَسْفَلَ لَهُمْ لِكَثْرَةِ شَرِّهِ وَتَرَكْتُ أَعْلَاهُمْ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ^(٧)

(١) صن الوجه: احفظه - يقول الإمام الشافعي احفظ ماء وجهك من المذلة ولا تخضع إلا لله اللطيف الخبير.

(٢) انظر الشبلنجي نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٧٩.

(٣) يدعو الإمام الشافعي إلى الاعتماد على النفس في كل الأمور وعدم الاتكال على أحد، متمثلاً بحك الظفر للجلد، فالأولى أن يحك المرء جلده بظفره هو دون غيره.

(٤) ينصح بأن يطلب الإنسان حاجته عند من يقدره حق قدره وإلا لا يجد المرء من يقضي له حاجته.

(٥) الوري: الناس.

(٦) يدعو إلى الحذر من الزمان وأهله لأن مودة الناس ليست في الغالب صادقة ولا دائمة.

(٧) يقول إنه أعرض عن الناس: لأن أسفلهم كثير الشر وأعلاهم قليل الخير.

(٥٧)

فَوْقَ أُمْرِي

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

أفكرُ في نَوَى إلفي وصَبْرِي وأحمدُ هِمَّتِي وأذمُّ دَهْرِي^(١)
وما قصَّرتُ في طَلَبٍ وَلَكِنْ لربِّ الناسِ أمرٌ فوقَ أُمْرِي^(٢)

(٥٨)

هُنَاكَ وَهَاهُنَا

وقال الشافعي مفتياً^(٣) بقوله :

هناكَ مَظْلُومَةٌ غَالَتْ بِقِيَمَتِهَا وهَاهُنَا ظَلَمْتُ هَائِثَ عَلَى الْبَارِي

(٥٩)

لَيْسَ كَثِيراً

ورد في مناقب الشافعي للبيهقي^(٤) قول الإمام
الشافعي رضي الله عنه :

وأكثرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَغَنْتَ إِيَّاهُمْ بَطُونٌ إِذَا اسْتَنْجَذْتَهُمْ وَظَهَرُوا^(٥)
وليسَ كثيراً أَلْفٌ لِوَاحِدٍ وإنَّ عَدُوًّا وَاحِداً لَكثيرُ^(٦)

(١) النوى: البعد - الإلف: الصاحب أو الصديق أو الحبيب الذي تألفه.

(٢) يقول إن أمر الله فوق كل أمر.

(٣) جاء هذا في زهر الربيع وقد قيل بأن المظلومة المعنية في أول البيت هي دية اليد إذا قطعت ظلماً فإن كانت يد حرٍّ شريف ففداؤها خمسمائة دينار ذهباً، المظلومة الثانية فهي يد السارق لأنها قد تقطع بسبب سرقتها شيئاً بخساً قد لا تزيد قيمته على جزء من الدينار.

(٤) انظر أيضاً تنبيه المغترين للشعراني ص ٩٩.

(٥) يدعو إلى الإكثار من الإخوان وهو يعني الصادقين الأوفياء لأنهم أعوان الإنسان في النوائب والأحداث.

(٦) يقول: لا تستكثر أن يكون معك ألف من الإخوان، فالكثير العدو ولو كان واحداً.

(٦٠)

قِيلَ لِي...

جاء في «نور الأبصار»^(١) قول الإمام الشافعي :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَى عَلَيْكَ فُلَانٌ وَمُقَامُ الْفَتَى عَلَى الدُّلِّ عَارٌ^(٢)
قُلْتُ قَدْ جَاءَنِي وَأَخَذْتُ عُذْرًا دِيَّةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِغْتِذَازُ^(٣)

(٦١)

لَكِنِّي رَاضٍ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

وَمَا كُنْتُ أَزْضَى مِنْ زَمَانِي بِمَا تَرَى وَلَكِنِّي رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ^(٤)
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ خَانَتْ عَهْدَنَا فَإِنِّي بِهَا رَاضٍ وَلَكِنِّي قَهْرُ

(٦٢)

إِغْتَرَزْتُ بِهَا

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف عوايق الاغترار

بأيام الدهر ولياليه :

تَاهَ الْأَعِيرُجُ وَاسْتَعْلَى بِهِ الْخَطَرُ فَقُلْ لَهُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْحَذَرُ^(٥)
أَحْسَنْتَ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حُسْنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَخْذُ الْكَدَرُ^(٦)

(١) الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار.

(٢) أسى عليك: حزن فهو آس - المقام (بضم الميم): الإقامة وموضعها وزمانها والمقام: (بفتح الميم): المنزل المرتبة.

(٣) الدية: جمع ديات، ما يعطى من المال بدل نفس القتيل وأصلها ودي والتاء عوض الواو المحذوفة كما في عدة.

(٤) وفي رواية: وما كنت راض والصواب ما أثبتناه.

(٥) تاه: تكبر وزها - استعلی: تكبر وترفع - الخطر: السبق أو ما يراهن عليه - الحذر: الاحتراس.
سألمتك الليالي: لم تعادك - صفو: صفاء - الكدر: نقيص الصفاء.

(٦٣)

الدَّهْرُ يَوْمَانِ

وقال الإمام الشافعي في تَقْلَبِ الدهر بين الصفو
والكدر:

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرٍ وَالْعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٍ وَذَا كَدَرٍ
أَمَّا تَرَى الْبَحْرَ تَغْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ^(١)
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٢)

(٦٤)

وَحَدَّثِي أَلَذُّ

وقال الإمام أبي عبد الله الشافعي في وصف
استثناسه بالوحدة:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيّاً فَوَحْدَتِي أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ^(٣)
وَأَجْلِسْ وَخَدِي لِلْعِبَادَةِ آمِناً أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَازِرُهُ^(٤)

(٦٥)

لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتاً

وقال الإمام الشافعي مخاطباً جبال جزيرة سرنديب
مقيداً بهمته القعساء:

أَمْطِرِي لُؤْلُؤاً جِبَالِ سِرْنَدِيدِ بَ وَفِيضِي أَبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا^(٥)

(١) الجيف: جمع جيفة وهي الجثة التنتة - تستقر: ترسو وتثبت - أقصى القاع: قرارته - الدُّرَر: جمع دُرَّة وهي اللؤلؤة العظيمة.

(٢) يكسف: يحجب من كسف الشيء غطاءه، وكسوف الشمس احتجابها نهاراً لحلول القمر بينها وبين الأرض.

(٣) الخُل: الصاحب - تقيّاً: ورعاً يخشى غضب الله فيتقيه بالعبادة والسيرة الحسنة - الغوي الضالّ من غوى غيّاً: ضلّ فهو غاوٍ وغاوي، وفي هذا قول دريد بن الصمة معبراً عن عصبية القبلية:

وما أنا إلا من غزيرة إن عَثَوْتُ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَدَ غَزِيَّةَ أَرَشَدَ

(٤) أقرّ لعبتي: أكثر قرّاً، أي اطمئناناً لها - أحاذره من حاذر أي حذر كل الآخر.

(٥) جبال سرنديب: جبال جزيرة سرنديب، وهي كما ذكر ياقوت في معجم البلدان في أحد بحار الهند =

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَغْدَمُ قُوتاً وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَغْدَمُ قَبْراً
هَمَّتِي هَمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْراً^(١)
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي فَلَمَّاذَا أُرُورُ زَيْدًا وَعُمْرًا

(٦٦)

كَانَتْ أَجَلَ

ورد في المستطرف^(٢) ونور الأبصار^(٣) قول
الشافعي:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا بِفُلْسٍ لَكَانَ الْفُلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرًا^(٤)
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا نُفُوسُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلَ وَأَكْبَرًا^(٥)
وَمَا ضَرَّ نَضَلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ إِذَا كَانَ عَضْبًا أَيْنَ وَجْهَتُهُ فَرَى^(٦)

(٦٧)

أَطَاعَكَ وَأَجَلَّكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

إِقْبِلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا^(٧)

= القصيدة يقال له هر كند. وقيل: في جبال سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم وهو الزهون وهو جبل عال يرى من مسافة بعيدة وفي هذا الجبل أثر قدم واحدة من قدمي آدم في حجر الجبل وطول هذا الأثر أو القدم سبعون ذراعاً تقريباً، وأما القدم الثانية كما تقول الروايات فقد كانت في البحر - تكرور: مناطق قوم من السودان في أقاصي بلاد المغرب وسكانها من الزنوج كما جاء في معجم البلدان لياقوت.

(١) يقول: إِنَّ هِمَّتَهُ عَالِيَةً أَشْبَهَ بِهِمُ الْمُلُوكَ وَأَنْ نَفْسَهُ حُرَّةٌ تَأْنَفُ مِنَ الذِّلِّ وَالصَّغَارِ كَأَنَّهُمَا كَفَرُ.

(٢) هو المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.

(٣) هو نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي.

- وقد وردت هذه الأبيات على لسان الشافعي حين أراد الخروج من مكة إلى مصر حسب رواية أبي بكر ابن بنت الشافعي. قيل: أنه خرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد ولم يكن عليه إلا حزمة، فدخل الناس وخرجوا فلم ينتبه إليه أحد أو يلتفت إليه فقال (انظر الأبيات أعلاه).

(٤) يصف ثيابه البخسة التي كان يرتديها والتي لا تساوي فلساً.

(٥) يقارن نفسه الكبيرة بثيابه البخسة ويصفها بأنها أعظم من نفوس الناس والخلق جميعاً.

(٦) إخلاق غمد السيف: كونه خلقاً أي بالياً - السيف المضرب: القاطع - فرى السيف: قطع.

(٧) معاذير: اعتذارات جمع معذرة - برّ: من البرّ وهو الإحسان ونقيض البرّ الإساءة والفجور.

لَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مِنْ يَغْصِيكَ مُسْتَتِرًا^(١)

(٦٨)

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي . . .

وقال الشافعي واعظاً داعياً إلى العمل الصالح لأنه
السبيل إلى جنان الخلد:

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا يُنْمِسي وَيُضْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَّارًا^(٢)
هَلَا تَرَكْتَ لِذِي الدُّنْيَا مُعَانَقَةً حَتَّى تُعَانِقَ الْفِرْدَوْسَ أَبْكَارًا^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَ^(٤)

(٦٩)

تَعَلَّمْ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

تَعَلَّمْ مَا اسْتَطَعْتَ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا تَكْ جَاهِلًا تَبْقَى أَسِيرًا
تَعَلَّمْ كُلَّ يَوْمٍ حَرْفٍ عِلْمٍ تَرَى الْجُهَالَ كُلَّهُمْ حَمِيرًا^(٥)

(٧٠)

مِنْ الشَّقَاوَةِ

وقال الإمام^(٦) الشافعي رضي الله عنه:

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ بَّ وَمَنْ تُحِبُّ يُحِبُّ غَيْرَكَ

(١) أَجَلَّكَ: من الإجلال وهو الاحترام والتعظيم.

(٢) السَّفَّار: المسافر، والكثير السفر.

(٣) الفردوس: الجنة - وقوله: ابكاراً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ [سورة الواقعة الآية ٣٦].

(٤) تبغي: تطلب - الجنان: جمع جنة، وهي الفردوس الموعود.

(٥) يدعو إلى التعلّم وعدم الاستهتار بالحرف الواحد من العلم لأن هذا له شأنه في جني ثمرات المعرفة، وهكذا يصبح الجهال حميراً بالقياس إلى متعلّم الحرف.

(٦) الرازي: الشافعي ومناقبه.

أَوْ أَنْ تُرِيدَ الْخَيْرَ لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ يُرِيدُ ضَيْرَكَ^(١)

(٧١)

كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا

جاء في معجم الأدباء^(٢) حَدَّثَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الزَّعْفَرَانِي قَالَ: سَأَلَ الشَّافِعِي عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ عَنْهَا
ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا لِلنَّظَرِ^(٣)
لِسَانٍ كَشَقْشِقَةِ الْأَرْحَبِ يَّيْ أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِيِّ الذَّكَرِ^(٤)
وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرَّجَا لِي أَسْأَلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرِ^(٥)
وَلَكِنِّي مِدْرَهُ الْأَصْغَرِ بِنِ جَلَابٍ خَيْرٍ وَفَرَاخٍ شَرِّ^(٦)

(٧٢)

نَازِلٌ فِي سُكُونٍ

وقال الشافعي يدعو إلى التناظر الهادئ وينهى عن
اللجاجة والمكابرة:

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ بِمَا اخْتَلَفَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ^(٧)

(١) الضير: الضرر والأذى.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء (٣٨٦/٦) والحسين الزعفراني من الفقهاء وأصحاب الحديث، روى الكثير من أخبار الشافعي وآرائه وفتاويه. كان الزعفراني ضليعاً في اللغة طويل الباع بقضاياها ومسائلها كانت وفاته في أواسط القرن الثالث للهجرة في نحو السنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م).

(٣) وفي رواية: بالنظر في موضع للنظر - تصدى له: تعرّض.

(٤) الشقشقة: شيء كالرثة يخرج من فم البعير عند هياجة، ولا يقال شقشقة إلا للإبل العربية، وتطلق اللفظة مجازاً على الخطباء فيقال شقشقة الخطيب استعارة من شقشقة البعير.

(٥) الإمعة في الرجال: من ليس له رأي يقوله لأن آراءه وإرادته هي آراء الآخرين وإرادتهم.

(٦) المدرة: زعيم القوم الذائد عنهم بيده ولسانه فهو هكذا لسان القوم - الأصغران: هما القلب واللسان ولذا يقال المرء بأصغريه تنويهاً بقلبه أي عقله المدبر ولسانه المفتح المبين - جلاب: كثير الجلب والجلب مصدر جلب الشيء: أتى به، أحضره - فزاج: الكثير الإفراج. يقول: إنه فصيح بليغ ذكي القلب بليغ اللسان قادر على تحقيق الخير وإحضاره ودفع الشر.

(٧) الأوائل: الأقدمون والأواخر المحدثون والمتأخرون زمناً.

فَنَاطِزُ مَنْ تُنَاطِرُ فِي سُكُونٍ
يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلا امْتِنَانٍ
وَإِيَّاكَ اللَّجُوجَ وَمَنْ يِرَائِي
فَإِنَّ الشَّرَّ فِي جَنَبَاتِ هَذَا

حَلِيمًا لَا تُلِحْ وَلَا تُكَابِرْ
مِنَ النُّكْتِ اللَّطِيفَةِ وَالنُّوَادِرِ^(١)
بِأَتِي قَدْ غَلَبْتُ وَمَنْ يُفَاخِرْ^(٢)
يُمْنِي بِالتَّقَاطِعِ وَالتَّدَابِرِ^(٣)

(١) النُّكْت: جمع نكتة وهي الطرفة والنادرة.

(٢) اللجوج: الملحاح - المرائي: مي المراءاة وهي الخداع والمخاتلة والتظاهر بخلاف ما في الباطن.

(٣) التقاطع والتدابير: أي القطيعة وعدم التواصل.



(٧٣)

قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ

وقال الإمام الشافعي يدعو من جعل نفسه واعظاً
للناس أن يصون نفسه من العيب والدنس . . .

يَا وَاعِظَ النَّاسِ عَمَّا أَتَتْ فَأَعْلُهُ	يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْعُمْرُ بِالنَّفْسِ
إِخْفَظْ لَشَيْبِكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ	إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ ^(١)
كَحَامِلٍ لِإِثْيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا	وِثْوُهُ غَارِقٌ فِي الرَّجْسِ وَالنَّجَسِ ^(٢)
تَبْغِي النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا	إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ ^(٣)
رُكُوبَكَ النَّعَشَ يُنْسِيكَ الرُّكُوبَ عَلَى	مَا كُنْتَ تَرْكَبُ مِنْ بَغْلٍ وَمِنْ فَرَسٍ ^(٤)
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ	وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ

(٧٤)

قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ

وقال الإمام الشافعي في الصديق الصدوق ودوره
في أوقات الشدة والحاجة للناسي:

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَاسِ^(٥)

(١) يدنسه: يلطّخه بمكروه أو قبيح - الدنس: الوسخ.

(٢) الرّجس: القذر.

(٣) تبغي النجاة: تريد الخلاص - اليبس: الأرض اليابسة.

(٤) النعش: سرير الميت.

(٥) القياس: المشابهة، والقياس قول مركب من قضايا إذا سلّم بها لزم عنها لذاتها قول آخر كما لو قلنا الطائر له جناحان، العصفور له جناحان فالعصفور طائر.

وما يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَضِرٍ وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا لِلتَّاسِي (١)
 فَعَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِساً بِجَهْدِي أَخَا ثِقَةٍ فَأَلْهَانِي التِّمَاسِي (٢)
 تَنَكَّرْتُ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا كَأَنَّ أَنْسَاهَا لَيْسُوا بِنَاسٍ

(٧٥)

اللهُ ذُو الْآلَاءِ

وقال يسأل الله اليقين والعون في الدنيا والآخرة:

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أَنْسٍ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ (٣)
 وَمَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِنْتِي إِلَّا وَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ (٤)
 لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدْسِ (٥)
 وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوباً أَنْتَ تَعْلَمُهَا وَلَمْ تَكُنْ فَأُضْحِي فِيهَا بِفِعْلِ مَسِي (٦)
 فَامُنَّنْ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبْسٍ (٧)
 وَكُنْ مَعِيَ طَوْلَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي عَبَسٍ (٨)

(٧٦)

لَقَلْعُ ضِرْسٍ أَهْوَنُ . . .

وقال الإمام الشافعي يصف وطأة السؤال على نفس
 العزيز الأبي:

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْسٍ (٩)

(١) التَّاسِي: مَنْ تَأَسَى الْقَوْمُ عَزَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

(٢) عَبَرْتُ الدَّهْرَ: أَيِ اجْتَزَّيْتَهُ عِبْرَ الزَّمَانِ - الْهَانِي: جَعَلَنِي أَلْهَوً - الْإِثْمَانُ: الْغَلَسُ.

(٣) الْجَهْرُ: نَقِيضُ السَّرِّ، الْجَهْرُ الْبُوحُ بِالشَّيْءِ وَإِعْلَانُهُ - الْمَغْلَسُ: مِنَ الْغَلَسِ وَهُوَ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ.

(٤) السَّنَةُ: التَّعَاسُ أَوْ النَّوْمُ. وَفِي رَأْيِ السَّنَةِ أَوَّلُ النَّوْمِ، وَفِي رَأْيِ آخِرِ النَّوْمِ إِذَا ثَقُلَ وَاسْتَبَدَّ بِصَاحِبِهِ.

(٥) الْآلَاءُ: النِّعَمُ، جَمْعٌ إِلَى.

(٦) أَتَيْتُ ذُنُوباً: ارْتَكَبْتُهَا - فَعَلَ مَسِي: فَعَلَ مَسِيءً.

(٧) اللَّيْسُ: الْإِثْمَانُ وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأُمُورِ.

(٨) يَوْمَ الْحَشْرِ: يَوْمَ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ - فِي عَبَسٍ: التَّفَاتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ عَبَسَ: ﴿وَجْهٌ يُومِئُذٍ مَسْفُوفٌ﴾.

(٩) قَلْعُ الضَّرْسِ: نَزْعُهُ وَاسْتِصْلَاحُهُ - نَزْعُ النَّفْسِ: إِمَاتَتُهَا.

وَقَرُّ بَرْدٍ وَقَوْدُ قِرْدٍ
وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ
وَنَفْخُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ
وَبَيْعُ خُفٍّ وَعُذْمُ أَلْفٍ
أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةِ الْحُرِّ
وَدَبْعُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسٍ^(١)
وَصَرْفُ حُبٍّ بِأَرْضِ خُرْسٍ^(٢)
وَبَيْعُ دَارٍ بِرُبْعِ قَلْسٍ
وَضَرْبُ أَلْفٍ بِحَبْلِ لِقَلْسٍ^(٣)
يَزْجُو نَوَالاً بِبَابِ نَحْسٍ^(٤)

(٧٧)

لَيْسَ يَنَالُهُ

وقال رضي الله عنه يصف قيمة العلم في حياة
الإنسان ويدعو إلى نبيله بالهمة العالية والإرادة
والتضحية :

الْعِلْمُ مَغْرَسٌ كُلُّ فَخْرٍ فَافْتَحِرْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يَنَالُهُ
إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًا
فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ
وَاحْذَرْ يَفُوتَكَ فَخْرُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ^(٥)
مَنْ هُمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ^(٦)
فِي حَالَتَيْنِهِ عَارِيًّا أَوْ مُكْتَسِي
وَاهْجُرْ لَهُ طَيْبَ الرُّقَادِ وَعَبْسٍ^(٧)
كَنتَ الرَّئِيسَ وَقَفَّرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

(١) القَرُّ: البرد - القود: المراد قود الذابة من أمام بخلاف السوق وهو من خلف.

(٢) الضَبُّ: من الزواحف شبيه بالحردون - الأرض الخرس: الخرساء، التي لا نبات فيها ولا أثر للحياة.

(٣) القلس: الجبل الغليظ والضحخم مثل جبال السفن.

(٤) النَوَال: العطاء - التَحْس: تقيض السعد.

(٥) يفوتك: يتجاوزك - المغرس: موضع الغرس.

(٦) يقول: إن العلم نصيب طالبيه الساهرين على تحصيله وليس يناله الذين كل همهم محصور في الطعام والشراب.

(٧) الرقاد: النوم - عبس: قطب وجهه.



قافية الصاد

(٧٨)

أُرْشِدَنِي

قال الإمام الشافعي يذكر شكواه إلى المحدث
وكيع^(١) الذي دعاه إلى ترك المعاصي.

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأُرْشِدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي^(٢)
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

(٧٩)

شَهِدْتُ

وقال الإمام الشافعي يذكر بعض أركان الإسلام
ويمتدح الراشدين:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَغْتَ حَقٌّ وَأَخْلِصُ^(٣)
وَأَنَّ عَرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنٌ وَفِعْلٌ ذَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ^(٤)
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرِصُ^(٥)

(١) وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي، المكنى بأبي سفيان. يعتبر من كبار محدثي بغداد في القرن الثاني للهجرة. كانت ولادة وكيع بالكوفة. امتنع عن تولي القضاء ورعاً، وفي الكوفة توفي سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م).

(٢) أُرْشِدَنِي: هداني ودلني - المعاصي: الذنوب.

(٣) البعث: النشور، الحساب في اليوم الآخر،

(٤) العرى: الروابط، جمع عروة.

(٥) أبو حفص: كنية عمر بن الخطاب - يحرص على الخير: يحافظ عليه ولا يتوانى.

وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ^(١)
 أُمَّةٌ قَوْمٌ يُهْتَدَى بِهَدَاهُمْ لِحَا اللَّهِ مَنْ إِيَّاهُمْ يَتَنَقَّصُ^(٢)

(١) يشيد بالراشدين: عثمان وعلي ويذكر فضلهما.

(٢) لحا الله: لعن - يتنقص فلاناً: يتنقص من قدره، يذمه.

قافية الضاد

(٨٠)

حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

وقال الإمام الشافعي^(١) يعتدّ بحب آل محمد:

يَا رَاكِباً قَفَّ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى	وَاهْتَفَ بِقَاعِدِ خَيْفَهَا وَالنَّاهِضِ ^(٢)
سَحَرَا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى	فَنَيْضاً كُمَلَّتْ طِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ ^(٣)
إِنْ كَانَ رَفُضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ	فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي ^(٤)

(٨١)

مِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ

وقال الإمام الشافعي يحذر من تجهّم الأيام
وإعراض الدنيا بعد الإقبال داعياً إلى الجود والعطاء.

إِذَا لَمْ تَجُودُوا وَالْأُمُورُ بِكُمْ تَمْضِي	وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ الْبَسْطُ وَالْقَبْضُ ^(٥)
فَمَاذَا يُرْجَى مِنْكُمْ إِنْ غُزِلْتُمْ	وَعَضَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِأَنْيَابِهَا عَضَا ^(٦)

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٣٨٧).

(٢) المحصب: موضع في جوار مكة، على مسافة من منى وسُمّي بالمحصب من الحَصْب وهو الرمي بالحجارة (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مادة المحصب أو حصب) - منى: أي وادي منى حيث ترمى الجمار وتراق دماء الأضحية انظر معجم البلدان لياقوت) - الخيف: موضع في المحصب يعرف بخيف بني كنانة (معجم البلدان).

(٣) فاض الحجيج إلى منى: قصدوها كفيض من السيل المتلاطم - الفرات: نهر الفرات.

(٤) الثقلان: الجن والإنس.

(٥) الأمور بكم تمضي: تذهب - البسط: نقيض القبض وهو مدّ اليد.

(٦) عضتكم بأنيابها: نهشتكم.

وتَسْتَزِجُ أَيَّامَ مَا وَهَبْتُكُمْ وَمِنْ عَادَةِ أَيَّامٍ تَسْتَزِجُ الْقَرْضَا^(١)
(٨٢)

عُذْتُ بِالْوُدِّ . . .

وقال الشافعي^(٢) يصف رعايته الصديق وحرصه
على حفظ وده وصونه بالتواصل وعدم الجفاء

لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَفَّاهُ أَخُوهُ أَظْهَرَ الدَّمَ أَوْ تَنَاوَلَ عِرْضَا^(٣)
بَلْ إِذَا صَاحِبِي بَدَا لِي جَفَّاهُ عُذْتُ بِالْوُدِّ وَالْوِصَالِ لِيَرْضَى
كُنْ كَمَا شِئْتُ لِي فَإِنِّي حَمُولٌ وَأَوَّلُ مَنْ عَنِ مَسَاوِيكَ أَغْضَى^(٤)

(١) وهبتكم: أعطتكم دون مقابل - القرض: الدين.

(٢) انظر البيهقي: مناقب الشافعي (٢/ ٨٠).

(٣) العرض: الشرف والمروءة، وقوله تناول العرض شتمه وانتقص من قدره.

(٤) حمول (فعول): كثير الاحتمال - أغضى: أغض الطرف.



قافية العين

(٨٣)

أَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يحذر من
عواقب الظلم ودعاء المظلوم:

وَرُبَّ ظَلُومٍ قَدْ كُفِيتَ بِحَرْبِهِ فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيَّ وَقُوعٍ^(١)
فَمَا كَانَ لِي الْإِسْلَامُ إِلَّا تَعَبُداً وَأَذِيعَةً لَا تُتَّقَى بِدُرُوعٍ
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلَفَهُ سِهَامٌ دُعَاءٍ مِنْ قَسِيٍّ رُكُوعٍ^(٢)
مُرِيْشَةً بِالْهُدْبِ مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ مِنْهَلَةً أَطْرَافُهَا بِدُمُوعٍ^(٣)

(٨٤)

هَذَا مُحَالٌ . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يندد بالنفاق والمنافقين
الذين لا يتورعون عن التظاهر بحب الله وهم غارقون
في العصيان والمعاصي:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ^(٤)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(٥)

(١) المقدور: القدر.

(٢) الظُّلُوم: الظالم - القسي: جمع قوس وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٣) مريشة: من راس السهم ألزق عليه الريش أو ركه - الهدب: الواحدة هدبة، جمع أهذاب وهو شعر أشفار العينين - منهلة: منسكة ومنذرفة.

(٤) المحال: المستحيل - القياس: يريد قياس المنطق. يقول: كيف تظهر حب الله وأنت تعصي أوامره، إن هذا مناقض للمنطق والواقع.

(٥) يقول: إن من دلائل الحب الصادق إطاعة المحبوب.

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَذِيرُكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لَشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعٌ^(١)

(٨٥)

إِنْ لَمْ يَضْبِرْ

ذكر ياقوت^(٢) أن رجلاً سأل الإمام الشافعي ماذا يصنع^(٣) إذا اشتدَّ به الوجد، فقال له:

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَضْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ^(٤)

(٨٦)

يُدَاوِي هَوَاهُ

وقال أيضاً^(٥):

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

(٨٧)

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ

وقال الإمام الشافعي:

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً^(٦)
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي وَلَوْ كُنَّا سِوَاءَ فِي الْبِضَاعَةِ

(١) يقول: كيف تعصي الله وهو في كل يوم يطلع عليك بنعمة أنت تضيعها ولا تشكرها؟

(٢) ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٦/٣٨٤).

(٣) ذكر ياقوت أن رجلاً سأل الشافعي سؤالاً مكتوباً في رقعة قال فيه:

سَلِّ الْمَفْتِي الْمَكِّيَّ مِنْ أَلِّ هَاشِمٍ
فَقَالَ الشَّافِعِيُّ (الْبَيْتُ أَعْلَاهُ).

(٤) يقول الشافعي: في الإجابة عما تقدم: إذا أنت لم تصبر على ما نابك أو أصابك فليس أنفع لك من الموت.

(٥) سئل الشافعي أيضاً، سأله صاحب الرقعة قائلاً:

فَكَيْفَ يُدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى
فَأَجَابَهُ (الْبَيْتُ أَعْلَاهُ).

(٦) أراد بالصالحين الأتقياء الورعين، وتقوى الله هي رأس سبل إصلاح النفس.

تَعَمَّدَنِي بِتُضْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجُنُبْنِي التَّضِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ^(١)
 إِنَّ التُّصْحَاحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ^(٢)
 وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُغَطِّ طَاعَهُ^(٣)

(٨٨)

كَمَا الْعَلِيلُ

وقال رضي الله عنه يحدد دور الورع في صرف
 صاحبه عن الاشتغال بعيوب الناس :

الْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَرَعُهُ^(٤)
 كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلُهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ^(٥)

(٨٩)

كَمَا طَارَ وَقَعَ

وقال الشافعي رضي الله عنه ينهى عن الطمع
 وعواقبه :

حَسْبِيَ بِعِلْمِي إِنْ نَفَعَ مَا الدُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
 مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ رَجَعَ مَا طَارَ طَيْرٌ وَازْتَفَعَ^(٦)
 إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

(١) تعمدني : من تعمد الأمر : قصده - جنبني النصيحة من الجماعة : أي لتكن نصيحتك إياي وأنا منفرد
 ولست مع الجماعة .

(٢) التوبيخ : التأنيب والتبكيت .

(٣) خالفتني : عصيتني ولم تطعني - لا تجزع : لا تخف .

(٤) الورع : التقى والورع (بكسر الراء) : التقى الذي يخشى الوقوع في الإثم ومخالفة أوامر الله .

(٥) العليل والسقيم : المريض - أشغله : صرفه .

(٦) رجع : أي رجع إلى جادة الصواب واستقام مرتدعاً عن الغي والضلال .

(٩٠)

لا تَطْمَع

وقال الشافعي^(١) داعياً إلى القناعة ناهياً عن
الطمع:

الْعَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنِعَ وَالْحُرُّ عَبْدٌ إِنْ طَمِعَ
فَأَقْنَعْ وَلَا تَطْمَعْ فَلَا شَيْءٌ يُشِينُ سِوَى الطَّمَعِ^(٢)

(١) انظر مقدمة كتابه الأم.

(٢) يشين: يعيب ويسيء.



(٩١)

ذَنَابُ خِرَافُ

جاء في «آداب الشافعي» حدّث عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن محمد بن يعقوب عن أبي حاتم عن حرملة أنه سمع الشافعي يقول:

وَدَعَ الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ تَنَسَّكُوا وَإِذَا خَلَوْا فَهُمْ ذَنَابُ خِرَافٍ

(٩٢)

كَيْفَ الْوُصُولُ

وقال الإمام الشافعي يصف هول الطريق قبل الوصول إلى سعاد ويفلب على شعره هنا الإيماء والرمز:

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلُلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفٌ^(١)
وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَلَا لِي مَرْكَبٌ وَالْكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخُوفٌ^(٢)

(٩٣)

وَهُوَ ضَعِيفُ

وقال الإمام الشافعي^(٣) رضي الله عنه:

أَكَلَ الْعُقَابُ بِقُوَّةٍ جَيْفَ الْفَلَا وَجَنَى الذُّبَابُ الشُّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفُ^(٤)

(١) قُلُل: جمع قَلَّة وهي قمة الجبل وأعلاه، والقَلَّة أعلى كل شيء - الحتوف: جمع حتف وهو الموت. يقال مات حتف أنفه أي على فراشه لا قتلاً ولا ضرباً.

(٢) الْكَفُّ صِفْرٌ وَصَفْرٌ: أي خالية، يقال هو صفر اليد أي لا يملك شيئاً وبيت صفر من المتاع أي خال، لا متاع فيه - الطريق مخوف: باعث على الخوف.

(٣) انظر ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر (١/٣٣٣).

(٤) العقاب: طائر من الجوارح - الجيف: جمع جيفة وهي جثة الميت المنتنة.

(٩٤)

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا

وقال الإمام الشافعي يصف جوهر الصداقة
ويكشف أهواء الذين يتصنعون الإخاء أو يتظاهرون
بالمودة:

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَزَعَاكَ إِلَّا تَكَلَّفَا	فَدَعُهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأْسُفَا ^(١)
فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرَكِّ رَاحَةٌ	وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا ^(٢)
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ	وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوُدَادِ طَبِيعَةً	فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَجِيءُ تَكَلَّفَا ^(٣)
وَلَا خَيْرَ فِي خَلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ	وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا ^(٤)
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ	وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا ^(٥)
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا	صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الرُّغْدِ مُنْصِفَا ^(٦)

(٩٥)

رَحْمَةُ رَبَّنَا عَلَيْهِ

وقال الإمام الشافعي يذكر مناقب الإمام أبي
حنيفة^(٧) مترحماً عليه:

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا	إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَةَ
بِأَحْكَامٍ وَأَثَارٍ وَفَقْهِ	كَآيَاتِ الزُّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَةِ ^(٨)

(١) التكلف: من تكلف الأمر تجشّمه، وتحمله على مشقة أو على خلاف عادته - التأسف: التحسر والأسف.

(٢) جفا الحبيب يجفو: أعرض وتقيض جفاه آنسه.

(٣) الوداد: الحب والمودة.

(٤) الخلّ والخليل: الصاحب.

(٥) تقادم عهده: إشارة إلى أنه وطيد لقدمه.

(٦) سلام على الدنيا إذا...: يندد بالدنيا ويزدريها إذا هي خلت من الصديق الصادق والمنصف.

(٧) أبو حنيفة: هو صاحب المذهب المعروف باسمه، أي المذهب الحنفي [(٨٠ - ١٥٠ هـ) = (٦٩٩ - ٧٦٧ م)].

(٨) الزبور: الكتاب وغلب اسم الزبور على مزامير داود النبي.

فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفِهِ^(١)
فَرَحْمَةٌ رَبُّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفُهُ

(٩٦)

الضِدَّانِ الْمُفْتَرِقَانِ

وقال رضي الله عنه :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُودًا حَوَى عُودًا فَأَثْمَرَ فِي يَدَيْهِ فَصَدَّقْ^(٢)
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَخْرُومًا أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَعَاظَ فَحَقَّقْ^(٣)
لَوْ كَانَ بِالْحِيلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي بِتُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعْلُقِي
لَكِنَّ مَنْ رَزَقَ الْحِجَا حُرِمَ الْغِنَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرَّقِ^(٤)
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْهَمِّ امْرُؤٌ دُوْهُمَّةٌ يُبْلَى بِرِزْقِ ضَيْقِ^(٥)
وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُؤْسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ^(٦)
إِنَّ الَّذِي رَزَقَ الْيَسَارَ فَلَمْ يَنْلِ أَجْرًا وَلَا حَمْدًا لَغَيْرِ مُوَفَّقِ^(٧)
وَالْجَدُّ يُذْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ^(٨)

(٩٧)

أَلَذُّ لِي . . .

وقال الإمام الشافعي يصف استمتاعه ولذته في
مواكبة العلم وتنقيح العلوم :

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِي مِنْ وَضَلِ غَانِيَةً وَطِيبَ عِنَاقِ^(٩)

(١) النظير: المثل - الكوفة: من مدن العراق على ساعد الفرات لجهة الغرب. تأسست سنة (٦٣٨ م) أسسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية. وتعتبر من مراكز الثقافة العربية.

(٢) المجدود: المحظوظ - العود: الغصن.

(٣) غاض الماء: غار وذهب في الأرض، وغاض أيضاً: قل.

(٤) الحجا: العقل والفطنة.

(٥) أحق: أجدر - يلى: يصاب - الرزق الضيق: القليل.

(٦) القضاء: حكم القدر - اللبيب: العاقل - الأحق: الجاهل والغبي.

(٧) اليسار: الغنى.

(٨) الجد (بفتح الجيم): الحظ - يذني: يقرب - الشاسع: البعيد.

(٩) تنقيح العلوم: تهذيبها - الغانية: الحسناء التي أغناها حسننها عن الزينة.

وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا أَخْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ وَالْعُشَاقِ^(١)
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِدُفِّهَا نَقْرِي لِأَلْقِي الرَّمْلِ عَنْ أُرَاقِي^(٢)
وَتَمَائِلِي طَرِباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ فِي الدُّزْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ^(٣)
وَأَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيْتُهُ نَوْمًا وَتَبَغْيِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

(٩٨)

لَمَّا تَغَرَّبَ . . .

يدعو الإمام الشافعي في هذه الأبيات^(٤) إلى
الارتحال عن موطن الضيم والذل مبيناً كيف أن
الجوهر رخيص في أرضه لكنه يغلو إذا تغرّب:

إِزْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقِ^(٥)
فَالْعَنْبِرُ الْخَامُ رَوْثٌ فِي مَوَاطِنِهِ وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ^(٦)
وَالْكُخْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَخْجَارِ تَنْظُرُهُ فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَزْمِيٌّ عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ^(٧)

(٩٩)

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف توكله على الله
في الرزق غير شاك بفضل الله مقسم الأرزاق للعباد.

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي

(١) صرير الأقلام: صوتها على القرطاس - الدوكة: حجر أو أداة لسحق الطيب - العشاق: المغرمون.

(٢) النقر: صوت يسمع من قرع الإبهام على الوسطى - الرق: من آلات الطرب.

(٣) العويصة: المسألة الصعبة من مسائل العلم أو الفقه والعويص أيضاً من الأقوال ما صعب إدراك معناه.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان (٣/٣٠٧).

(٥) تضام بها: تظلم بها وتعامل بإذلال وانتقاص - الحرق: جمع حرقه وهي اللوعة والحسرة.

(٦) العنبر: من الطيوب وفي كتاب الحيوان للجاحظ أن العنبر روث سمك وهو ما أشار إليه الشافعي ومن قائل بأن العنبر مادة دهنية تقذفها عيون قائمة في قاع البحر وإذا طافت جمدت وألقتها الأمواج على الشاطئ.

(٧) تغرّب: ترك موطنه - حاز الفضل: ناله - الحدق: العين أو وسطها.

وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَاقِبُ^(١)
 سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقٍ^(٢)
 فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ^(٣)

(١٠٠)

تَبْقَى بِلا صَدِيقٍ

ويدعو الشافعي رضي الله عنه إلى تقبل عثرات
 الناس حتى لا يبقى أحدا بلا صديق :

وَلَا تَأْخُذْ بِعَثْرَةِ كُلِّ قَوْمٍ وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ^(٤)
 فَإِنْ تَأْخُذْ بِعَثْرَتِهِمْ يَقُولُوا وَتَبْقَى فِي الزَّمَانِ بِلا صَدِيقٍ

(١٠١)

عِلْمِي مَعِي

يذهب الإمام الشافعي إلى أَنَّ العلم هو الذي تعبیه
 الصدور، لا الدفاتر أو الكتب في الخزائن والصناديق :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بُطْنُ صُنْدُوقٍ^(٥)
 إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ^(٦)

(١) يفوتني: يذهب عني بحيث لا أدركه، يفوتني أيضاً: يجاوزني - البحار العوامق: العميقة والعوامق (فواعل): جمع العميق، والبحر العميق مثل البئر العميقة: أي الذي بعد قعره.

(٢) يقول: إن رزقه سيأتيه بفضل الله العظيم دون سؤال مني.

(٣) يقول: لا داعي لتحسر النفس ما دام الرحمن قد قسم أرزاق العباد.

(٤) هلم: كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء مثل تعال وتكون لازمة، ويمكن تعديتها مثل قولهم: هلم أنصاركم أي أدعوا هؤلاء الأنصار. وهلم اسم فعل يستعمل بلفظ واحد للجمع ويمكن تصريفه بجعله فعلاً مثل: هلم وهلموا وهلموا - وقوله: هلم إلى الطريق دعوة إلى طريق العمل.

(٥) يمت: قصدت، ذهبت - يقول: أن قلبه وعاء علمه فهو يختزن فيه علومه فالعلم الحقيقي في نظر الشافعي ما وعاه قلب الإنسان أي ذهنه وملكاته وليس ما خزنه الدفاتر أو ما أودع في الصناديق أو الخزائن من كتب.

(٦) يقول: ما دام العلم مختزناً في قلبه أو عقله فهو حاضر معه أينما كان. والشافعي يسخر هكذا من الذين إذا سألتهم في مسألة أو قضية طلبوا أن تستملهم للرجوع إليها في الكتب والدفاتر.

(١٠٢)

رُزِقْتُ عَلَى جَهْلٍ

وقال الإمام الشافعي:

لَوْ كُنْتُ بِالْعَقْلِ تُغَطَّى مَا تُرِيدُ إِذَنْ لَمَا ظَفِرْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَرْزُوقٍ^(١)
رُزِقْتُ مَالاً عَلَى جَهْلٍ فَعِشْتُ بِهِ فَلَسْتُ أَوَّلَ مَجْثُونٍ وَمَرْزُوقٍ

(١٠٣)

كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ

وقال أيضاً يصف مشاعر الغريب وحنينه للأهل والوطن.

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ مَخَافَةٌ سَارِقٍ وَخُضُوعٌ مَذْيُونٍ وَذِلَّةٌ مُوثِقٍ^(٢)
فَإِذَا تَذَكَّرَ أَهْلَهُ وَبِلَادَهُ فَمُقَاوَدُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ

(١٠٤)

أَضِيقُ

وقال الإمام الشافعي محدراً من عواقب إفشاء السر:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَخْمَقُ^(٣)
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ^(٤)

(١) يقول: إن الإنسان لا ينال الرزق أو العطاء بالعقل ولكن المال يرزقه الإنسان ولو كان جاهلاً، لأنه قسمة القدر وإرادة الخالق.

(٢) إن شعور الغريب هو شعور الخوف كأنه سارق أو مديون أو ذليل.

(٣) أفشى السر: باح به، أعلنه ولم يكتمه - الأحق: الغبي الجاهل.

(٤) يستكمل معنى البيت الأول مؤكداً أن الذي يفشي سرك معذور لأنك أنت صاحب السر لم تقو على الاحتفاظ به، فكيف لسواك أن يفعل.

(١٠٥)

كُنْ جَحِيماً

وقال الشافعي رضي الله عنه منذاً بطبائع المكر
والملق في الناس .

لم يَبْقَ في النَّاسِ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْمَلَقُ شَوْكٌ، إِذَا لَمْسُوا، زَهْرٌ إِذَا رَمَقُوا^(١)
فَإِنْ دَعَتْكَ ضَرُورَاتُ لِعَشْرَتِهِمْ فَكُنْ جَحِيماً لَعَلَّ الشَّوْكَ يَحْتَرِقُ^(٢)

(١٠٦)

مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ

وقال الإمام الشافعي :

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقاً^(٣)

(١) المكر: الخداع - الملحق: التودد والتذلل وإبداء الاكرام قولاً لا فعلاً فالملق وذ باللسان لا بالقلب .

(٢) يدعو الشافعي من يضطر لمعاشرة المتملقين أن يكون كالجحيم كي يحرق شوك هؤلاء الخبيثاء .

(٣) رام النفع: رغب فيه، أراده - المعقوق: الجحود والعصيان - يقول: رب رجل أراد النفع فسبب الإضرار شأن ذلك البر أي الإحسان الذي يكون بالعصيان وعدم الطاعة .



(١٠٧)

فَسَادٌ كَبِيرٌ

ومما قاله ^(١) الإمام الشافعي رضي الله عنه في تهتك
العالم وفساده:

فسادٌ كبيرٌ عالمٌ مُتَهَتِّكٌ وأكبرُ منه جاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ ^(٢)
هما فتنةٌ في العالمينَ عَظِيمَةٌ لَمَنْ بهما في دينه يتمسِّكٌ ^(٣)

(١٠٨)

القنَاعَةُ رَأْسُ الْغِنَى

وقال الإمام الشافعي في القناعة:

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ ^(٤)
لَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُتْهِمٌ ^(٥)
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِزْهِمٍ أَمْرٌ عَلَى النَّاسِ شُبْهَةُ الْمَلِكِ

(١) راجع المجموعة المباركة للقلنقولي ص ١٧٦.

(٢) المتهتك: الذي يهتك الستر عن عيوبه من الهتك وهو تقطيع الستر وتمزيقه وإزالته من موضعه ومن معاني الهتك الفضيحة.

(٣) هما: أي العالم المتهتك والمتنكس الجاهل - يعتبر الشافعي كلاً من التهتك والجهل من أسباب الفتنة.

(٤) متمسك: أي متعلق بشدة، وتمسك به أيضاً: اعتصم.

(٥) منهمك: اسم فاعل من انهمك في العمل أي جَدَّ فيه ودأب عليه وانشغل..



(١٠٩)

لا يُذْرِكُ الْحِكْمَةَ . . .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في موضوع
الحكمة وكيفية إدراكها:

يَكْدُخُ فِي مَضْلَحَةِ الْأَهْلِ	لا يُذْرِكُ الْحِكْمَةَ مَنْ عُمُرُهُ
خَالٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالشُّغْلِ	وَلَا يَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا قَتَى
سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ بِالْفَضْلِ	لَوْ أَنَّ لُفْمَانَ الْحَكِيمِ الَّذِي
فَرَّقَ بَيْنَ الثُّبَنِ وَالْبَقْلِ	بُلِي بِفَقْرِ وَعِيَالٍ لَمَا

(١١٠)

مَنْ طَلَبَ الْعُلَى

وقال الشافعي^(١) مشدداً على الكد في سبيل
تحصيل العلم:

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي ^(٢)	بَقْدَرِ الْكَدِ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ ^(٣)	وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍ
يَغْوِصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي ^(٤)	تَرَوْهُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا

(١) انظر المجموعة المباركة الآتفة الذكر . .

(٢) الكد: التعب، وبذل الجهد.

(٣) يقول من طلب العلا بغير تعب أو عمل أضاع عمره بلا جدوى وكأنه يطلب شيئاً مستحيلاً.

(٤) يتابع المعنى السابق ويؤكد أنَّ العز لا ينال إلا بالسعي وبذل الجهد فهو كاللآلي تلزم طالبيها بأن يغوص في لجج البحار .

(١١١)

حَتَّى أَوْسَدَ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلِيًّا فَإِنَّا رَوَافِضُ بِالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ^(١)
وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ رُمِيتُ بِنَصْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ^(٢)
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنَصْبٍ كِلَاهُمَا بِحُبِّيهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ^(٣)

(١١٢)

لَمْ يَعْمَلْ

وقال الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر الحظ في

رفعة الإنسان .

المرءُ يَحْظَى ثُمَّ يَغْلُو ذِكْرُهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ^(٤)
وَتَرَى الْغَنِيَّ إِذَا تَكَامَلَ مَالُهُ يُخْشَى وَيُنْحَلُ كُلُّ مَا لَمْ يَعْمَلِ^(٥)

(١١٣)

أَدَبَنِي الدَّهْرُ

وقال^(٦) الإمام الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر

الدهر في تأديب الإنسان وزيادة رصيده من العلم .

كَلَّمَا أَدَبَنِي الدَّهْرُ رُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا أَزْدَدْتُ عِلْمًا زَادَانِي عِلْمًا بِجَهْلِي

(١) الروافض: أصلاً هم الذين نادوا بآراء اعتبرها الإمام عليّ بدعة وعاقب أصحابها والفرق الرافضة هي فرق الغلاة في الإسلام .

(٢) رميت بنصب: إشارة إلى جماعة الناصبة الذين كانوا ينصبون للإمام علي .

(٣) أوسد في الرمل: أي حتى أموت، وتوسد في الرمل أي توى في اللحد بعد الموت .

(٤) يحظى: ينال الحظوة وهي المرتبة العالية .

(٥) يشير إلى تأثير الغنى على صاحبه وكيف يرفع من مكانته حتى ينسب إليه ما ليس فاعلاً بالحقيقة .

(٦) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣١١) .

(١١٤)

وَكَذًا . . .

وقال الإمام الشافعي مؤكداً أن الفقيه الفقيه إنما هو
بفعله لا بنطقه ومقاله :

إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الْفَقِيهُ بِفَعْلِهِ لَيْسَ الْفَقِيهُ بِنُطْقِهِ وَمَقَالِهِ
وَكَذًا الرَّئِيسُ هُوَ الرَّئِيسُ بِخُلُقِهِ لَيْسَ الرَّئِيسُ بِقَوْمِهِ وَرِجَالِهِ
وَكَذًا الْغَنِيُّ هُوَ الْغَنِيُّ بِحَالِهِ لَيْسَ الْغَنِيُّ بِمُلْكِهِ وَبِمَالِهِ

(١١٥)

في النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

وقال الإمام الشافعي يدعو إلى صون النفس
واكتساب ثقة الناس بالعمل الصالح والتمسك
بالفضائل :

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ^(١)
وَلَا تُؤَلِّقَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ^(٢)
وَأِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاضْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ^(٣)
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ، مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ^(٤)
وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ^(٥)

(١) صن النفس : احفظها - احمليها : الأمر من ، حملة على الأمر : اجتهده وكلفه القيام به - يزيناها : يجعلها -
يدعو الإمام الشافعي إلى صيانة النفس من كل رذيلة وحمليها على القيام بما يجعلها جميلة في أعين
الناس ويكفل له بذلك الطمأنينة والثناء .

(٢) التجمل : الصبر والجلد - نبا به الدهر : جافاه وتباعد عنه ، يقال : نبا به الفراش : لم يطمئن في نومه -
جفاك الخليل : صد عنك صاحب .

(٣) نكبات الدهر : مصائبه .

(٤) المتلون : المتقلب - يقول : لا خير في ود امرئ يتلون في حبه أي يخادع ولا يكون صادقاً بل يتقلب
في أهوائه كالريح ويميل كما تميل .

(٥) يقول : الاخوان كثرة في التعداد وفي وقت الطمأنينة وإقبال الأيام لكنهم عند حلول المصائب يصبحون
قلّة أي لا يثبت للمرء من خلّاته في الظروف العصيبة إلا القلّة .

(١١٦)

إِنَّ الْوُقُوفَ ذُلٌّ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلٌّ^(١)
مَاذَا تُؤْمَلُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا^(٢)
فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ كَرَمًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ^(٣)

(١١٧)

تَعَلَّمْ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يدعو إلى طلب العلم مبيتاً فرق ما بين العالم والجاهل :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ^(٤)
وَأَنْ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَحَافِلُ^(٥)

(١١٨)

أُخَذْتُوَا بِدَعَا

جاء في «البداية والنهاية»^(٦) : قال الربيع : سمعت

الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر

ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقال وأنشد في الشافعي :

لَمْ يَفْتِ النَّاسُ حَتَّى أُخَذْتُوَا بِدَعَا فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ يُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ^(٧)

(١) البلاء : المصيبة - حيثما حلّوا : حيثما نزلوا - فلا يكن لك في أبوابهم ظلّ : أي لا تقف على أبوابهم .

(٢) جاروا عليك : ظلموك - ملّوا : شتموا - يصف أخلاق الملوك وينعتهم بالظلم والملل ويحذر من صحبتهم .

(٣) يدعو الشافعي الإنسان إلى الاستغناء عن سؤال الملوك ، لأن طرق أبوابهم مذلة .

(٤) الجحافل : جمع الجحفل وهو الجيش الكبير .

(٥) المحافل : جمع محفل وهو المجلس ومجتمع الناس - يعظم الإمام دور العلم في عظمة الإنسان ، لأن العلم يرفع الصغير في المحافل والجهل يضع من مكانة الكبير في قومه إذا أحاطت به الجحافل .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٤/١٠) ، والربيع المذكور هنا هو الربيع بن سليمان أحد الرواة الذين أخذوا عن الشافعي ورووا كتبه .

(٧) البدع : جمع بدعة وهي المحدث الجديد على غير مثال سابق والبدعة كل ما استحدث مما هو مخالف للإيمان .

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ وَفِي الَّذِي حَمَلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

(١١٩)

إِذَا شِئْتُ

جاء في معجم الأدباء^(١) أنه جرت بين الشافعي
وبعض أصحابه مجانة فقال الإمام:

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ امْرَأً لَا أَشَاكِلُهُ^(٢)
أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ^(٣)

(١٢٠)

عَزَّ مَنَالُهَا

وقال الإمام ينذد بالحاسد ويصف شدة حقه:

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي مُدَارَاتُهُ عَزَّتْ وَعَزَّ مَنَالُهَا^(٤)
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا^(٥)

(١٢١)

أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلاً

روي أن الخليفة الرشيد أمر ببدة فيها عشرة آلاف
درهم للشافعي فأخذها الإمام ثم أعطاها للحاجب
وكتب على بدرة المال قوله^(٦):

ذُلُّ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ كَلَّا أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلاً^(٧)

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٣٨٦).

(٢) لا أشاكله: لا أشابهه ولا أمثله.

(٣) السجينة: الطبيعة والخلق.

(٤) المداراة: المجاملة - عزَّ مَنَالُهَا: صعب نيلها.

(٥) زوالها: ذهابها وضياها.

(٦) انظر: خلاصة الذهب المسبوك للأربلي (ص ٢١٢).

(٧) الطعام الوبيل: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُ إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا^(١)

(١٢٢)

لَعَلَّهُ

قيل^(٢): استعار الإمام الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي الفقيه تلميذ أبي حنيفة شيئاً من كتبه فلم يسغه به فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه:

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عَيْنًا	مَنْ رَأَى رَأَى مِثْلَهُ
وَمَنْ كَانَ مَنْ رَأَى	قَدْ رَأَى مَنْ قَبْلَهُ
لَأَنْ مَا يَجْنِيهِ	فَاقَ الْكَمَالَ كُلَّهُ ^(٣)
الْعِلْمُ يَنْهِي أَهْلَهُ	أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ
لَعَلَّهُ يَنْبُذْلَهُ	لَأَهْلِيهِ لَعَلَّهُ

(١٢٣)

حُبُّكُمْ فَرَضٌ

وقال الإمام الشافعي يعبر عن حب آل رسول الله:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ	فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ	مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

(١) يقول إذا لم يكن بدّ من الذل أو الموت فهو الموت أقلّ وطأة على النفس.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي - (٤/١٢٢).

(٣) فاق الكمال كلّهُ: علاه وتجاوزه بالعقل.



(١٢٤)

مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الثلاثة

المهلكة:

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ وَدَاعِيَةُ الصَّحِيحِ إِلَى السُّقَامِ^(١)
دَوَامٌ مُدَامَةٌ وَدَوَامٌ وَطَاءٌ وَإِذْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ^(٢)

(١٢٥)

عُقُوفَا

وقال الشافعي أيضاً:

عُقُوفَا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّانَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الزَّانَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمِ^(٣)

(١٢٦)

فَأَفْهَمِ

وقال رضي الله عنه:

يَا هَاتِكَا حُرِّمَ الرَّجَالِ وَقَاطِعَا سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمِ^(٤)

(١) الأنام: الناس - الداعية: السبب والأمر الذي يدعو - يقول المهلكات ثلاث من شأنها أن تبدل الصحيح إلى البخل.

(٢) هذه المهلكات هي: الإدمان على المدام أي الخمرة، وكثرة الوطء أي المجامعة والنهم الذي يحمل المرء على التخمّة وإدخال الطعام على الطعام.

(٣) الزنى: الفجور مصدر زنى يزني زناً: فجر فهو زان وهي زانية - يقول الإمام الشافعي: إن الزنى أي الفجور دين فمن أقرضه صار بعض أهل البيت أي سمة من سماته.

(٤) الهاتك الحرم: الذي يمزق الستر عنها - سبل المودة: طرقها ودروبها ووسائلها.

لَوْ كُنْتَ حُرّاً مِنْ سُلَالِهِ مَا جِدَ مَا كُنْتَ هَتَاكاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ^(١)
 مَنْ يَزِنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيباً فَأَفْهَمَ^(٢)

(١٢٧)

كفاك تعليمي

قال الأصبهاني في آداب الشافعي^(٣): حدثنا محمد
 بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن غوث
 الدمشقي قال: سمعت المزني يقول: كَلَّمَ للشافعي
 في بعض ما يراد منه فأنشأ يقول:

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتَ خَلِيقَتِي وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي^(٤)

(١٢٨)

صاحبه كريم

وقال الشافعي يصف فضل العالم ويبين أهمية
 العلم في رفع مكانة الإنسان:

رَأَيْتُ الْعِلْمَ صَاحِبُهُ كَرِيمٌ وَلَوْ وَلَدْتَهُ أَبَاءُ لِيَأُمَ
 وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْقَعُهُ إِلَى أَنْ يُعْظَمَ أَمْرُهُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ
 وَيَتَّبِعُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِرَاعِي الضَّأْنِ تَتَّبَعُهُ السَّوَامُ^(٥)
 فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ رِجَالٌ وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَلَا الْحَرَامُ^(٦)

(١) هتاكاً (وزن فعلاً للمبالغة): أي كثير الهلك.

(٢) لبياً: عاقلاً وفطناً.

(٣) الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١٤٩)، أيضاً: آداب الشافعي للعلامة الرازي ص ٢٧٣.

(٤) بلوتك: اختبرتكَ - الخليقة: الطبيعة.

(٥) الضأن: الغنم - السوام: السائمة أي الماشية التي تسوم أي ترعى، والسوام: المال الراعي كما تقول العرب من إبل وأغنام ونحوها.

(٦) يبين فضل العلم في توعية النفوس ويقول لولاه ما ميّز المرء بين الحلال والحرام.

فَقَدْ عَادَاكَ

جاء في كتاب «اللطائف والظرائف»^(١) قول الإمام
الشافعي:

صديقك مَنْ يُعَادِي مَنْ تُعَادِي	بَطُولِ الدَّهْرِ مَا سَجَعَ الحَمَامُ ^(٢)
وَيُوفِي الدِّينَ عَنْكَ بغيرِ مَطْلٍ	وَلَا يَمُنُّنْ بِهِ أَبَدًا دَوَامُ ^(٣)
فإن صَافِي صديقك مَنْ تُعَادِي	ويفرُحُ حينَ ترشُّقك السَّهَامُ ^(٤)
فذاك هُوَ العَدُوُّ بغيرِ شَكٍّ	تَجْتَنِبُهُ فَصُحْبَتُهُ حَرَامُ
فإنَّا قَدْ سَمِعْنَا بَيْتَ شِعْرِ	شَبِيهَ الدُّرِّ زَيْنُهُ النِّظَامُ
إذا وَافَى صديقك مَنْ تُعَادِي	فَقَدْ عَادَاكَ وَانْفَصَلَ الكَلَامُ

بِهِمْ غَفْلَةٌ

جاء في «الفهرست»^(٥): حَدَّثَ أَبُو الحَسَنِ
الصَّابُونَجِيُّ المِصْرِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الشافعي بِمِصْرَ بَيْنَ بَيْطَارِ بِلَالٍ وَبَيْنَ الْبَرْكِتَيْنِ وَعِنْدَ
رَأْسِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ:

قَضَيْتُ نَحْبِي فَسُرَّ قَوْمٌ	حَمَقَى بِهِمْ غَفْلَةٌ وَنَوْمٌ ^(٦)
كَأَنَّ يَوْمِي عَلَيَّ حَتْمٌ	وَلَيْسَ لِلشَّامِتِينَ يَوْمٌ ^(٧)

(١) انظر اللطائف والظرائف للثعالبي (ص ١٤٨).

(٢) سجع الحمام: تطريه في صوته، والسجع أيضاً صوت الحمام على وتيرة واحدة.

(٣) يوفي الدين عنك: يسدده - المطل: المماثلة - لا يمتن: لا يحمك المنة.

(٤) ترشقك السهام: ترميك.

(٥) الفهرست: لابن التديم.

(٦) قضى نجه: مات - الحمقى: الأغبياء.

(٧) الأمر الحتم: المحتوم، الذي لا مفر منه.

(١٣١)

إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

أَجُودُ بِمَوْجُودٍ وَلَوْ بِثُ طَاوِيَا عَلَى الْجُوعِ كَشْحًا وَالْحَشَا يَتَأَلَّمُ^(١)
وَأُظْهِرُ أَسْبَابَ الْغِنَى بَيْنَ رِفْقَتِي لِيَخْفَاهُمْ حَالِي وَإِنِّي لَمُعْدِمُ^(٢)
وَبَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَشْكُو فَاقْتِي حَقِيقًا فَإِنَّ اللَّهَ بِالْحَالِ أَعْلَمُ^(٣)

(١٣٢)

أَسْتَمْطِرُ الْجُودُ

وقال رضي الله عنه :

بِمَوْقِفِ ذُلِّي دُونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى بِمَخْفِي سِرِّي لَا أُحِيطُ بِهِ عِلْمَا
بِإِطْرَاقِ رَأْسِي، بِاعْتِرَافِي بِذِلَّتِي بِمَدِّ يَدِي، أَسْتَمْطِرُ الْجُودَ وَالرُّحْمَى^(٤)
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَعْضُ وَضْفِهَا لِعِزَّتِهَا يَسْتَعْرِقُ النَّثْرَ وَالنَّظْمَا^(٥)
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِمَّنْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ بِمَنْ كَانَ مَكْنُونًا فَعُرِّفَ بِالْأُسْمَا^(٦)
أَذِقْنَا شَرَابَ الْأَنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى مُحِبًّا شَرَابًا لَا يُضَامُ وَلَا يَظْمَا^(٧)

(١) طاوياً: جائعاً - الكشح: من السرة إلى المتن أي ما بين الخاصرة والضلع الخلفية - يقال: فلان طوى كشحاً على حقد: أي اضغن واطمر الحقد.

(٢) أسباب: دواعي - معدم: معوز، لا أملك شيئاً.

(٣) الفاقة: العوز.

(٤) استمطر الله الجود: سأل إياه، والجود: العطاء والكرم - الرحمة: رقة القلب والانعطاف الذي يقتضي المغفرة والإحسان.

(٥) يقول: إن وصف أسماء الله الحسنى وما فيها من العزة ليعجز بلاغة النثرين والتأظيمين.

(٦) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ قالوا بلى... [الأعراف: ١٧٢].

(٧) لا يضام: لا يصيبه ضيم، والضيم الذل والهوان - يظما: مخفف: يظماً أي يعطش.

كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

حدّث المزنّي وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى
قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه،
فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في الدنيا
راحلاً، وللاخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً،
وعلى الله جلّ ذكره وارداً ولا والله ما أدرى روعي
تصير إلى الجنة أم إلى النار؟ ثم بكى وأنشأ يقول^(١):

وإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرَمًا	إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَزْفَعُ رَغْبَتِي
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَمًا ^(٢)	وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا ^(٣)	تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرْنَتْهُ
تَجُودٌ وَتَعْفُو مِثَّةً وَتَكْرَمًا ^(٤)	فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا ^(٥)	فَلَوْلَاكَ لَمْ يَضْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ
أَهْنَا وَأَمَّا لِلسَّعِيرِ فَأَنْدَمًا ^(٦)	فِيالَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَصِيرُ لَجَنَّةٍ
تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا ^(٧)	فَلَلَّهُ دُرُّ الْعَارِفِ الذَّنْبِ إِنَّهُ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَاتَمًا	يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا ^(٨)	فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا	وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (٦/٣٨٢)، انظر أيضاً طبقات الشافعية (ص ١٤).

(٢) ضاقت مذاهبي: ضاقت سبل خلاصي - يقول: إنه ضاقت عليه السبل فجعل رجاءه سلماً إلى الله طلباً للرحمة.

(٣) قرنته: جعلته يقترن أي جعلته في موازنة عفو الله.

(٤) يقول: إن المرء يدأب على الذنب والله يعفو بفضل مثته وكرمه.

(٥) يصمد: يثبت - إبليس: رمز للشيطان الذي يوسوس للإنسان - الصفي: الذي اصطفاه الله أي اختاره من بين الملائكة.

(٦) السعير: النار، جهنم.

(٧) الوجد: شدة الحب والحنين واللهفة.

(٨) فصيحاً: قادراً على البيان - الوري: الخلق - أعجم: غير فصيح.

فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طَوْلَ نَهَارِهِ
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي
الْسُّتَ الَّذِي غَذَيْتَنِي وَهَدَيْتَنِي
عَسَى مِنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَأَقْبَلْتُ خَاشِعاً
فَإِنْ تَغْفُ عَنِّي تَغْفُ عَنْ مُتَمَرِّدٍ
وَإِنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ
فَجُزِمِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
حَوَالِيَّ فَضْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمَحَبِّ بَوْضِلِهِ
حَوَالِيَّ إِيْنَاسٌ مِنَ اللَّهِ وَخُدَّةُ
أَصُونٌ وَدَادِي أَنْ يَدْنُسَهُ الْهَوَى
فَفِي يَقْظَتِي شَوْقٌ وَفِي غَفَوْتِي مُنَى
وَمَنْ يَغْتَصِمَ بِاللَّهِ يَسْلَمَ مِنَ الْوَرَى

أَخَا الشُّهْدِ وَالنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا^(١)
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤلاً وَمَغْنَمًا^(٢)
وَلَا زِلْتُ مَثَاناً عَلَيَّ وَمُنْعِمًا^(٣)
وَيَسْتَشْرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا^(٤)
وَلَوْلَا الرِّضَا مَا كُنْتُ يَا رَبُّ مُنْعِمًا
ظُلُومَ غَشُومَ لَا يَزَايلُ مَائِثَمًا^(٥)
وَلَوْ أَذْخَلُوا نَفْسِي بِجَرَمِ جَهَنَّمَا
وَعَفْوُكَ يَأْتِي الْعَبْدَ أَعْلَى وَأَجْسَمًا
وَنُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفْتَرِشُ السَّمَاءَ
إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَى وَجَارَ إِلَى الْجَمَى^(٦)
يَطَالِعُنِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ أَنْجُمًا
وَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحَبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَا^(٧)
تَلَا حَقَّ خَطْوِي نَشْوَةً وَتَرْتُمَا
وَمَنْ يَزُجْهُ هَيْهَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَا^(٨)

(١٣٤)

وَاجِبُ صَوْنُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه في العلم وضرورة صونه:

الْعِلْمُ مِنْ فَضْلِهِ، لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ

(١) القرين: المثل، النظير - السَّهْد: الأرق.

(٢) البغية: المبتغى، الطلب - المغنم: الغنيمة.

(٣) مَثَاناً وَمُنْعِمًا: متفضلاً.

(٤) الزَّلَّة: السقطة - الأوزار: جمع وزر وهو العبء الثقيل.

(٥) ظُلُومَ وَغَشُومَ: ظالم - المائثم: الإثم.

(٦) جاز إلى: اجتاز.

(٧) أَصُونٌ وَدَادِي: أحفظه، والود: المحبة - يدنسه: يجعله دنساً أي قدراً غير طاهر - يتثَلَّم: يتصدع.

(٨) يعتصم بالله: يلوذ به، يتمسك بحبال رحمته - هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعد - يقول من اعتصم بالله حفظ نفسه من شرور الناس ولا يندم أبداً.

فَوَاجِبٌ صَوْنُهُ عَلَيْهِ كَمَا يَصُونُ فِي النَّاسِ عِرْضَهُ وَدَمَهُ^(١)
فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ^(٢)

(١٣٥)

لَسْتُ مُضِيعاً

جاء في معجم الأدباء^(٣): أخبر عثمان بن محمد
العثماني وحدث عنه أبو محمد بن حيان قال: حدثنا
أبو علي النيسابوري - ببغداد - حدثني بعض أصحابنا
أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلة
أصحاب مالك وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحابه ثم
أنشد قائلاً:

أَأَنْتُرُ دُرّاً بَيْنَ سَارِحَةِ الْبَهِمِ وَأَنْظِمُ مَنثوراً لِرَاعِيَةِ الْعَنَمِ^(٤)
لَعَمْرِي لَيْتَنِي ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ فَلَسْتُ مُضِيعاً فِيهِمْ غَرَرَ الْكَلِمِ^(٥)
لَيْتَنِي سَهَّلَ اللَّهُ الْعَزِيزُ بِلَطْفِهِ وَصَادَقْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمِ^(٦)
بَثَثْتُ مُفِيداً وَاسْتَفَقْتُ وَدَادَهُمْ وَإِلَّا فَمَكُونُونَ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمِ^(٧)
وَمَنْ مَنَعَ الْجَهَالَ عِلْماً أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ^(٨)

(١) الصون: الحفظ - العرض: الشرف والمروءة.

(٢) أودع الشيء: جعله وديعة، وامتعه.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٣٨٥ و ٣٨٦) أيضاً الأصبهاني: (حلية الأولياء (٩/٥٣).

(٤) سارحة البهم: السائمة، وأراد بالدرّ درر العلم، ويشتر المنظوم الشعر.

(٥) غرر الكلم: مأثور الكلام، الحكم الرفيعة.

(٦) صادقت: لقيت صدقة.

(٧) بثثت: من بث يثث بثاً الكلام: نشرت وأذعت - الوداد: المحبة - مكنون: محفوظ ومستور.

(٨) المستوجبين: الجديرين الذين يستحقون التعلم.

قافية النون

(١٣٦)

صُنْتُ نَفْسِي

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف قناعته وصون
نفسه عن الهوان:

قَنِعْتُ بِالْقُوتِ مِنْ زَمَانِي	وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ ^(١)
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا	فَضْلُ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا	فَلَا أُبَالِي إِذَا جَفَّانِي
وَمَنْ رَأَى بَعِينَ نَقْصٍ	رَأَيْتُهُ بِأَلْتِي رَأَى
وَمَنْ رَأَى بَعِينَ تَمٍّ	رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي ^(٢)

(١٣٧)

لَمْ تُغْنِ

قال الشافعي رضي الله عنه في صديق له تولى إمرة
بعض النواحي فتغيرت عاداته عما كانت عليه فكتب
إليه الإمام يقول^(٣):

إِذْهَبْ فَوْدُكَ مِنْ فُؤَادِي طَالِقٌ أَبْدَأْ وَلَيْسَ طَلَاقُ ذَاتِ الْبَيْنِ^(٤)

(١) القوت: ما يقتات به المرء من طعام أو غذاء ليقوم أوده - صنت نفسي عن الهوان: حفظتها من الذل.

(٢) يقول من رأى بعين الكمال أدركت ما فيه من جوهر المعاني وكمالها.

(٣) أي الإمام الشافعي.

(٤) طالق: المتروك المبعد - طلاق ذات البين: الطلاق الذي لا رجعة فيه، أي الطلاق بالثلاث.

فَإِنْ ارْعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِقُكَ وَيَدُومُ وَدُكَ لِي عَلَى ثُنْتَيْنِ^(١)
وَأِنْ امْتَنَعْتَ شَفَعْتُهَا بِمِثَالِهَا فَتَكُونُ تَطْلِقُكَيْنِ فِي حَيْضَيْنِ^(٢)
وَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَتْكَ مِنْ بَتَّةٍ لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وَلَايَةُ «السَّيْبَيْنِ»^(٣)

(١٣٨)

سُنَّةُ الدِّينِ

جاء في معجم الأدباء^(٤): قال الإمام الشافعي في التعزية:

إِنِّي أُعْزِيكَ لَا أَنِّي عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْخُلُودِ، وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ^(٥)
فَمَا الْمَعْزَى بِبَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ وَلَا الْمَعْزَى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ^(٦)

(١٣٩)

هَذَا بِذَاكَ

وقال رضي الله عنه:

تَحَكَّمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ وَعَمَّا قَلِيلٍ كَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ^(٧)
لَوْ أَنْصَفُوا، أَنْصَفُوا لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْأَخْزَانِ وَالْمَحَنِ^(٨)
فَأُضْبَحُوا وَلِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ هَذَا بِذَاكَ وَلَا عَتَبَ عَلَى الزَّمَنِ

(١) ارعويت: من ارعوى ارتدع واهتدى - ثنتين: اثنتين.

(٢) شفعتها: قرنتها - الحيضين: مثني الحيض وفي هذا تؤخذ أحكام الطلاق فالأمة إذا طلقت اعتدت شهرين وخمساً أو طهرين أو حيضين، والحيض خروج دم من المرأة في وقت مخصوص على وجه مخصوص فهي حائض وحائضة.

(٣) الثلاث: أي الطلاق ثلاثاً - بتة: أي بصورة باتة - لم تغن عنك: لم تجدك ولم تنفعك - السيبين: اسم بلد.

(٤) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٠٨/٧) انظر أيضاً: الشريشي: شرح المقامات.

(٥) بسنة الدين: سنة التعزية للمجاملة وغرضها حمل المفجوع بعزير على الصبر لحمله على الصبر والسلولان.

(٦) المعزى (بالكسر): الذي يقدم التعزية - المعزى (بالفتح): المفجوع الذي تقدم إليه عزاءنا - الحين: أي الحين.

(٧) .. لم يكن: أي كأن الأمر بعد الزوال لم يكن موجوداً كناية عن أن الموت يمحو كل أثر.

(٨) بغو: ظلموا - المحن: جمع محنة المصائب.

(١٤٠)

إِلَّا بِسِتَّةٍ

قال الإمام الشافعي^(١) محدداً الشروط الأساسية لتحصيل العلم:

أخي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَبَيَانٍ^(٢)
ذِكَاءً، وَحِرْصً، وَاجْتِهَادً، وَبُلْغَةً وَصُحْبَةً أَسْتَاذٍ، وَطُولَ زَمَانٍ^(٣)

(١٤١)

وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ

وقال الإمام الشافعي^(٤) رضي الله عنه، بعد حديثه: «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل»:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثُ وَعِلْمُ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ^(٥)
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ^(٦)

(١٤٢)

لَسْتُ بِوَاجِدٍ

قال الأصبهاني: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، قال: سمعت محمد بن بشير الأبري يقول: سمعت الربيع يقول: كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلّمه بكلام فأنشأ الشافعي يقول^(٧):

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مَنْ جُنُونٍ جُنُونٍ

(١) انظر المجموعة المباركة.

(٢) أنبيك: أنبئك، أخبرك - البيان: الوضوح.

(٣) يعدد الشروط الستة وهي حاجة المتعلم إلى العقل الذكي والحرص على التعلم، والدأب في الاجتهاد وبلغة العيش واصطحاب أستاذ يستفاد منه العلم والحاجة إلى زمن طويل.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (١٠/٢٥٤).

(٥) المشغلة: كل ما يشغل المرء عما هو أوجب فيضيع فرصة الانتفاع به.

(٦) وسواس الشياطين: صوتهم الخفي من قوله تعالى: ﴿فَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [سورة الأعراف: ١٩].

(٧) انظر الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١٤٧).

(١٤٣)

يسوني

وقال رضي الله عنه :

سَأْضِيرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَالْأَفْهَوَاتِ بَعْدَ حِينِ^(١)
وإنْ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِثُ وموتُ أَحَبَّتِي قَبْلِي يسوني^(٢)

(١٤٤)

الصَّمْتُ أَجْمَلُ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ^(٣)
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
وَعَلَى الْفَتَى لِطَبَاعِهِ سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى جَبِينِهِ^(٤)

(١٤٥)

لُقْمَةٌ تَكْفِينِي

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

رَأَيْتُكَ تَكْوِينِي بِمَيْسَمٍ مِئَّةٍ كَأَنَّكَ كُنْتَ الْأَضْلَ فِي يَوْمِ تَكْوِينِي^(٥)
فَدَعْنِي مِنَ الْمَنْ الْوَحِيمِ فَلُقْمَةٌ مِنَ الْعَيْشِ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي^(٦)

(١) الحمام : الموت - بعد حين : بعد زمن .

(٢) يسوني : مخفف يسوءني أي يؤذيني ويؤلمني .

(٣) حشو الكلام : الرديء ، الثافه الخالي من البيان والبلاغة - عيون الكلام : أفضله وأشرفه .

(٤) السمة : العلامة - تلوح : تظهر .

(٥) الميسم : أداة الوسم أي الكتي مثل المكواة وهي أصلاً لوسم السائمة أو المواشي لتحديد الجهة التي تمتلكها .

(٦) الوحيم : السيء العاقبة .

(١٤٦)

كَحَلْتُ بِهِ أَجْفَانِي

قيل: ذكر الشافعي بلدة غزة مولده فقال^(١):

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى أَرْضِ غَزَّةٍ وَإِنْ خَانَنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ كِثْمَانِي^(٢)
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً لَوْ ظَفِرْتُ بِثُرْبِهَا كَحَلْتُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الشُّوقِ أَجْفَانِي

(١٤٧)

كُلُّكَ سَوَاءٌ

وقال الإمام الشافعي ينصح بحفظ اللسان عن ذكر
سوءات الأنام:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيماً مِنَ الرَّدَى وَدِيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعَرْضُكَ صَيِّنٌ^(٣)
فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ^(٤)
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَائِباً فَدَعُهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَغْيُنٌ^(٥)
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَسَامِخٌ مَنِ اغْتَدَى وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^(٦)

(١٤٨)

سَهَرْتُ وَنَامْتُ

وقال الشافعي أيضاً:

سَهَرْتُ أَغْيُنٌ، وَنَامْتُ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ

(١) انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان (٣/٢٠٢).

(٢) غزة: مدينة في جنوبي فلسطين على شاطئ المتوسط - الكتمان: عدم البوح.

(٣) الردى: الموت - موفور: محفوظ - عرضك صيّن: منيع.

(٤) السوأة: العورة - يقول: لا تتناول سوءات الآخرين لأنك بدورك ذو عورات وللناس ألسن يتناولونك بها كما تتناولهم.

(٥) المعائب: العيوب.

(٦) يدعو الشافعي إلى حسن المعاشرة والتسامح والدفاع عن النفس بأنجع السبل وأحسنها.

فَاذْرَا الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ سِرِّ فَحْمَلَانِكَ الْهُمُومَ جُنُونُ^(١)
 إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي عَدٍ مَا يَكُونُ

(١٤٩)

أَرَحْتُ نَفْسِي

ومن شعر الإمام الشافعي قوله في تهذيب نفسه من
 المطامع

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرَحْتُ نَفْسِي فَإِنَّ النَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ^(٢)
 وَأَخِيْتُ الْقَنُوعَ وَكَانَ مَيْتًا ففِي إِخْيَائِهِ عِرْضُ مَضُونُ^(٣)
 إِذَا طَمَعٌ يَحِلُّ بِقَلْبِ عَبْدٍ عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وَعَلَاهُ هُونُ^(٤)

(١٥٠)

إَحْفَظْ لِسَانَكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه في صون
 اللسان وكيف يكون إذا لم يحفظ خطراً على
 الإنسان:

إَحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُغَبَانُ^(٥)
 كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الْأَقْرَانُ^(٦)

(١) ادراًأ الهم: ادفعه وأدافعه - حملانك: حملك - يقول: لا تتقل على نفسك الهموم بل ادفعها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

(٢) يقول إنه بتد مطامعه فأراح بذلك نفسه مؤكداً أن المطامع تؤدي إلى إذلال النفس.

(٣) القنوع: القناعة - يقول إنه أمارت الطمع فأحیی في نفسه القناعة وبالقناعة يصون المرء عرضه ويحفظه من كل سوء.

(٤) المهانة: الازدراء.

(٥) يشبه اللسان بالثعبان وأن المرء إذا لم يحفظه لدغه وجلب لنفسه الأذى.

(٦) يقول إن في المقابر كثيراً من أولئك الذين قتلهم لسانهم فماتوا برخص مع أن الأقران كانت تهابهم، والأقران جمع القرين وهو المثل في الخلق والطبيعة.

(١٥١)

لَأُكْرِمَهُمْ

روي أن أبا يعقوب البويطي قال: لم أزل أسمع
الشافعي يردد هذا البيت كثيراً:

أَهَيْنُ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَهُمْ بِهَا وَلَنْ تُكْرِمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهَيِّنُهَا

(١٥٢)

الْعَيْبُ فِينَا

وقال الشافعي رضي الله عنه:

نُعَيْبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لِيْزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانِ بغيرِ ذَنْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا
وَلَيْسَ الذُّبُّ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً عَيَانَا^(١)

(١٥٣)

خَافُوا الْفِتْنَ

وقال الشافعي أيضاً يصف الصالحين الذين أدركوا
زوال الدين عندهم

إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً قُطِنَا تَرَكُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنََا^(٢)
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطِنَا^(٣)
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا^(٤)

(١) يقول: إِنَّ الذَّنَابَ يأكل بعضها لحم البعض الآخر، فالعار إذاً أن يأكل أحداً لحم أخيه وهذا كناية عن السباب والشتيمة.

(٢) قُطِنَا: ذوي فطنة - الفتن: جمع فتنة وهي إثارة الشرور وما يسبب القتال بين الناس.

(٣) انظروا فيها: أي في الدنيا.

(٤) اللُجَّة: أكثر الماء - يقول: إن العقلاء ذوي الفطنة أدركوا أن الحياة فانية وزائلة فجعلوا الدنيا لُجَّةً تمخرها سفنهم بصلح الأعمال.

(١٥٤)

فَبَشِّرْهُ

وقال الإمام الشافعي يحدد أثر العلم في سيرة الإنسان وخلق^(١):

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هَدًى وَسِيرَتَهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقَهُ حُسْنًا
فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ نَقْمَةً يُسَاءُ بِهَا مِثْلَ الَّذِي عَبَدَ الْوُثْنَ^(٢)

(١٥٥)

عَمِيقُ بَحْرُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف اتساع بحر العلوم^(٣):

لَنْ يَبْلُغَ الْعِلْمَ جَمِيعاً أَحَدٌ لَا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ عَمِيقٌ بَحْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ^(٤)

(١٥٦)

الصَّبْرُ جُنَّةٌ

وقال الإمام الشافعي^(٥):

لَا تَخْمِلَنَّ لِمَنْ يَمُنُّ مِنَ الْأَنْامِ عَلَيْكَ مِثَّهُ^(٦)
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا وَأَصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةٌ^(٧)

(١) انظر حاشية الصاوي (أحمد بن محمد)، في تفسير الجلالين.

(٢) يقول: إذا لم يكن قلب الفتى بريئاً من الظلم مليئاً بالهدى فالله سيوليّه نقمة كتلك التي يُمنى بها عابد الوثن.

(٣) انظر كتاب الجواهر الزكية ص ٢١٩.

(٤) يشير إلى عمق بحر العلم ويدعو إلى الأخذ من كل علم أحسنه ما دام المرء غير قادر على أن يعي العلوم جميعها.

(٥) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب (٢/٤٦١).

(٦) الأنام: الناس.

(٧) الجئة: السترة، والدرع الواقية جمع الجئن.

مِنْ الرِّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ^(١)
(١٥٧)

مَا شِئْتُ كَانَ

قال ابن خزيمة^(٢) عن المزني^(٣) عن الشافعي أنه قال:

مَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ فَبِالْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنِ^(٤)
فِيهِمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنٌ^(٥)
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذَا خَذَلْتُ، وَذَا لَمْ تُعِنْ^(٦)

(١٥٨)

مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ

وقال الإمام الشافعي في سوء الظن:

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئاً إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ
مَا رَمَى الْإِنْسَانَ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ^(٧)

(١) الأسنة: رؤوس الرماح، جمع سنان.

(٢) هو ابن خزيمة محمد بن إسحاق السلمي المكنى بأبي بكر من علماء نيسابور الكبار [٢٢٣ - ٣١١ هـ] = (٧٣٧ - ٨٢٣ م) جمع بين الفقه والحديث طبقت شهرته آفاق مصر والشام وبلاد الجزيرة والعراق، وكان إمام عصره بل إمام الأئمة كما وصفه المؤرخون.

(٣) المزني: هو إسماعيل بن يحيى المزني المكنى بأبي إبراهيم من معاصري الشافعي وأحد أصحابه الكبار [١٧٥ - ٢٦٤ هـ] = (٧٩١ - ٨٧٧ م).

(٤) المسن: خلاف الفتى، الطاعن في العمر.

(٥) يشير إلى اختلاف العباد في السعادة والشقاء والحسن والقبح.

(٦) خذله: أفشله وحال دون نجاحه.

(٧) المخمصة (وزن مفعلة): المجاعة أي خلاء بطن المرء من الطعام.

(١٥٩)

أُتْرِكَ هَوَاهُ

وجاء في المخلاة^(١) للعالملي: قال الشافعي رضي
الله عنه:

زِنْ مِنْ وَزْنَتِ بِمَا وَزَّ	نُكَ وَمَا وَزْنُكَ بِهِ فَزْنُهُ
مَنْ جَاءَ إِلَيْكَ فَرُخْ إِلَيْهِ	هْ وَمَنْ جَفَاكَ فَصُدَّ عَنْهُ ^(٢)
مَنْ ظَنَّ أَنَّكَ دُونَهُ	فَاتْرُكْ هَوَاهُ إِذَا وَهِنُهُ ^(٣)
وَارْجِعْ إِلَى رَبِّ الْعِيبَا	دِ فِكُلُّ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ ^(٤)

(١) المخلاة لبهاء الدين العالملي (ص ٢٩١).

(٢) رح إليه: اذهب إليه - جفاك: أعرض عنك - صد عنه: أعرض عنه من الصدود.

(٣) دونه: أقل مكانة منه - هنه: وجهه إليه الإهانة.

(٤) يدعو بالرجوع إلى الله لأن كل ما يقع لنا إنما هو بمشيئته.



(١٦٠)

لا خَيْرَ فِيهِ

وجاء في شرح المقامات للشريشي^(١): قال
الشافعي رضي الله عنه:

ولا أَرْضَى مُقَارَنَةَ السَّفِيهِ	سَأْتُرِكَ حُبَّكُمْ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ
إِذَا كَانَ الْكِلَابُ وَلَغْنًا فِيهِ ^(٢)	وَتَخْتَرُمُ الْأَسْوَدُ وَرُودَ مَاءٍ
سَأْتُرُكُهُ وَقَلْبِي يَشْتَهِيهِ	إِذَا دَبَّ الدَّبِيبُ عَلَى طَعَامٍ
فَهَذَاكَ الْأَسَدُ لَا خَيْرَ فِيهِ ^(٣)	إِذَا شَرِبَ الْأَسَدُ مِنْ خَلْفِ كَلْبٍ

(١٦١)

مَنْزِلَةُ السَّفِيهِ

وجاء في المخلاة للعاملِي: قال
الشافعي:

كَمَنْزِلَةِ الْفَقِيهِ مِنَ السَّفِيهِ	وَمَنْزِلَةُ السَّفِيهِ مِنَ الْفَقِيهِ
وَهَذَا فِيهِ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ	فَهَذَا زَاهِدٌ فِي قُرْبِ هَذَا
تَقَطَّعَ فِي مَحَالَفَةِ الْفَقِيهِ	إِذَا غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى سَفِيهِ

(١٦٢)

(١) مقامات الشريشي: (ص ٤١٦).

(٢) ولغت الكلاب في الماء: شربت منه، ويكون الولغ شرباً باللسان، والولغ للسباع كالكلاب والذئاب.

(٣) يقول لا خير في أسد إذا شرب من خلف كلب يريد امتهانه لذلته وقلة اعتداده بنفسه.

تَصَبَّرَ لِلْبَلَوَى

وجاء في المخلاة للعالمي^(١): قال الشافعي:

أَرَى حُمُرًا تَرْعَى وَتُعْلَفُ مَا تَهْوَى	وَأُسْدًا جِيعًا تَظْمَأُ الدَّهْرَ لَا تُرَوَى ^(٢)
وَأَشْرَافَ قَوْمٍ لَا يَنَالُونَ قُوَّتَهُمْ	وَقَوْمًا لِيَامًا تَأْكُلُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ^(٣)
قَضَاءَ لَدَيَّانِ الْخَلَائِقِ سَابِقُ	وَلَيْسَ عَلَى مَرِّ الْقَضَا أَحَدٌ يَقْوَى ^(٤)
فَمَنْ عَرَفَ الدَّهْرَ الْخَوْوَنَ وَصَرَفَهُ	تَصَبَّرَ لِلْبَلَوَى وَلَمْ يُظْهِرِ الشُّكْوَى ^(٥)

(١) المخلاة للعالمي ص ٢٨٢.

(٢) تعلف: تطعم العلف - تظمأ: تعطش - لا تروى: لا تسقى.

(٣) القوت: ما يسدّ الرمق، أود العيش - المنّ: كل ما ينعم به، والمن مائية تنعقد على بعض الأشجار عسلًا وتجف كالصمغ والمن هو الذي أنزله الله بأعجوبة بالبرية على بني إسرائيل، كما ورد في القرآن الكريم ليقْتَاتُوا به - السلوى: العسل.

(٤) الديّان: القَهَار - القضا: مخفف القضاء، حكم القدر.

(٥) الخوون: الخائن - صرف الدهر: حوادثه - البلوى: المصيبة.



(١٦٣)

أعرض عن الجاهل

ومن كلام الشافعي رضي الله عنه :

أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ السَّفِيهِ فَكُلْ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ^(١)
فَمَا ضَرَّ بَحْرَ الْفُرَاتِ يَوْمًا أَنْ خَاضَ بَغْضَ الْكِلاَبِ فِيهِ^(٢)

(١٦٤)

وعين الرضا

وقال الإمام الشافعي :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا^(٣)
وَلَسْتُ بِهِيَابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا^(٤)
فَإِنْ تَذُنْ مِنِّي، تَذُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي وَإِنْ تَنَأَ عَنِّي، تَلَقَّنِي عَنْكَ نَائِيَا^(٥)
كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا^(٦)

(١) أعرض عن : ابتعد .

(٢) بحر الفرات : نهر الفرات .

(٣) كليله : ضعيفه - السخط : عدم الرضى .

(٤) هياب (فعل) : كثير التهيب أي كثير الخوف .

(٥) إن تذن : إن تقترب - إن تنأ : إن تبتعد .

(٦) يقول : نحن في غنى الواحد عن الآخر ، ولاسيما عندما نموت .

(١٦٥)

نَسِينَا الْأَمَانِي

وروى الربيع كما ذكر ابن قتيبة في عيون
الأخبار^(١)

وجمّرتنا تَجْمِيرُ كَسْرَى جنوده ومَتَيْتَنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا^(٢)

(١٦٦)

تَجَاوَزُوا هَذَا

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَإِسْبَاطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ ^(٣)	إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذْكُرُ عَلِيّاً
فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيِّهِ ^(٤)	يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا
يَرَوْنَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ ^(٥)	بَرِثْتُ إِلَى الْمُهِيمِينَ مِنْ أَنَاسٍ

(١) أراد بالربيع: أحد رواة، الشافعي وهو الربيع بن سليمان.

(٢) جمّرتنا: من جمّر الجند المقاتلين: أبقاهم في أرض العدو دون أن يعيدهم إلى وطنهم، وفي هذا قول زياد لأهل البصرة: ولست مجمّراً لكم بعثاً - مَتَيْتَنَا: من الأمانة وهي الأمل والرجاء.

(٣) سبطيه: مشى سبط والسبط هو ولد البنت - فاطمة الزكية: أي فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٤) تجاوزوا هذا: تخطوه - الرَّافِضِيَّة: الجماعة الرافضة.

(٥) برثت من: أي تبرأت، فهو يتنصل من الانتساب إلى هذه الجماعة.

فهرس القوافي

٤٨..... (٢٠) النَّاسُ دَاءٌ	٥..... مقدمة
٤٨..... (٢١) لَيْسَ عِنْدِي	١٣..... ترجمة الشافعي
٤٩..... (٢٢) كَبُرَ عَلَيْهِ	قافية الألف
٤٩..... (٢٣) مَنْ لِي بِهَذَا؟	(١) دَعِ الْآيَامَ
٥٠..... (٢٤) آلُ النَّبِيِّ دَرِيعَتِي	(٢) أَلَا تُخْطِي
٥٠..... (٢٥) النَّاسُ بِالنَّاسِ	(٣) جَهْدُ الْبَلَاءِ
٥١..... (٢٦) لَا تُجْنِهِ	(٤) وَاحْشِرَةَ لِّلْفَتَى
٥١..... (٢٧) قَدْ ضَلُّوا	قافية الباء
٥٢..... (٢٨) مَا عَطَفُوا	(٥) وَقُوفُ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
٥٢..... (٢٩) يَخْمِي حِمَاهُ	(٦) بَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ
قافية الجيم	(٧) جَرَّدْتُ صَارِمًا
٥٣..... (٣٠) لَرُبِّ نَازِلَةٍ	(٨) يُقَاسُ بِطِفْلِ
٥٣..... (٣١) عَدَاوَةُ الشَّعْرَاءِ دَاءٌ	(٩) أَنْتَ حَسْبِي
٥٤..... (٣٢) صَبْرًا جَمِيلًا	(١٠) خَبْرَا الْمُنْجَمِ
قافية الحاء	(١١) خَالِفْ هَوَاكَ
٥٥..... (٣٣) إِنَّ الْجَوَابَ مِفْتَاحُ	(١٢) تَمُوتُ الْأَسَدُ جُوعًا
٥٥..... (٣٤) مَعَاذَ اللَّهِ	(١٣) تَرَايَدْتُ رِفْعَةً
٥٦..... (٣٥) قَاسٍ وَجْهَوُلُ	(١٤) مِنَ الْبَلِيَّةِ
٥٦..... (٣٦) أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ	(١٥) حَبَّتْ نَارُ نَفْسِي
قافية الدال	(١٦) أَزِيدُ جُلْمًا
٥٧..... (٣٧) هُوَ الرَّدَى	(١٧) وَإِنْ سَلِمْتُ
٥٧..... (٣٨) لَمْ أَرْ غَيْرَ شَامِتٍ	(١٨) ... تَهَيَّؤُهُ
٥٨..... (٣٩) مَا لَهُمْ عَدَدُ	قافية التاء
٥٨..... (٤٠) قُلْتُ: كَلَّا	(١٩) جَزَى اللَّهُ عَنَّا

- (٤١) كَمْ ضَاحِكٍ ٥٩
- (٤٢) عَفَا اللَّهُ ٥٩
- (٤٣) حَسْبُكَ حَظًّا ٥٩
- (٤٤) وَلَوْ لَا حَشِيَّةُ الرَّحْمَنِ ٦٠
- (٤٥) حَمْسُ فَوَائِدَ ٦٠
- (٤٦) لَا تَنْقُضِي ٦١
- (٤٧) خَلَّ اللَّهُ عَنِّي ٦١
- (٤٨) لَا تَيَاسُنْ ٦١
- (٤٩) الْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ ٦٢
- (٥٠) تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ ٦٢
- (٥١) عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ ٦٣
- قافية الرّاء**
- (٥٢) لَسْتُ بِخَاسِرٍ ٦٥
- (٥٣) لَا أَذْرِي ٦٥
- (٥٤) إِلَّا ٦٦
- (٥٥) مِثْلُ ظَفْرِكَ ٦٦
- (٥٦) لَمْ أَجِدْ لِي صَاحِبًا ٦٦
- (٥٧) فَوْقَ أَمْرِي ٦٧
- (٥٨) هُنَاكَ وَهَاهُنَا ٦٧
- (٥٩) لَيْسَ كَثِيرًا ٦٧
- (٦٠) قِيلَ لِي ٦٨
- (٦١) لَكُنْتِي رَاضٍ ٦٨
- (٦٢) إِغْتَرَزْتُ بِهَا ٦٨
- (٦٣) الدَّهْرُ يَوْمَانِ ٦٩
- (٦٤) وَخَدْتِي أَلَدُ ٦٩
- (٦٥) لَسْتُ أَغْدُمُ قُوتًا ٦٩
- (٦٦) كَانَتْ أَجَلٌ ٧٠
- (٦٧) أَطَاعَكَ وَأَجَلَّكَ ٧٠
- (٦٨) إِنْ كُنْتَ تَبْغِي ٧١
- (٦٩) تَعَلَّمْ ٧١
- (٧٠) مِنَ الشَّقَاوَةِ ٧١
- (٧١) كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا ٧٢
- (٧٢) نَاطِرٌ فِي سُكُونٍ ٧٢
- قافية السين**
- (٧٣) قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ ٧٥
- (٧٤) قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ ٧٥
- (٧٥) اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ ٧٦
- (٧٦) لَقَلْعُ ضِرْسٍ أَهْوَنُ ٧٦
- (٧٧) لَيْسَ يَنَالُهُ ٧٧
- قافية الصاد**
- (٧٨) أَرْشَدَنِي ٧٩
- (٧٩) شَهِدْتُ ٧٩
- قافية الضاد**
- (٨٠) حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ٨١
- (٨١) مِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ ٨١
- (٨٢) عُذْتُ بِالْوَدِّ ٨٢
- قافية العين**
- (٨٣) أَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ ٨٣
- (٨٤) هَذَا مُحَالٌ ٨٣
- (٨٥) إِنْ لَمْ يَضِيرْ ٨٤
- (٨٦) يُدَاوِي هَوَاهُ ٨٤
- (٨٧) أَحَبُّ الصَّالِحِينَ ٨٤
- (٨٨) كَمَا الْعَلِيلُ ٨٥
- (٨٩) كَمَا طَارَ وَقَعَ ٨٥
- (٩٠) لَا تَطْمَعُ ٨٦
- قافية الفاء**
- (٩١) ذِنَابٌ خِرَافُ ٨٧
- (٩٢) كَيْفَ الْوُصُولُ ٨٧

١٠١..... عَزَّ مَنَالُهَا (١٢٠)	٨٧..... وَهُوَ ضَعِيفٌ (٩٣)
١٠١..... أَرَاهُ طَعَامًا وَيِيلاً (١٢١)	٨٨..... سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا (٩٤)
١٠٢..... لَعَلَّهُ (١٢٢)	٨٨..... رَحْمَةً رَبَّنَا عَلَيْهِ (٩٥)
١٠٢..... حُبُّكُمْ قَرَضٌ (١٢٣)	٨٩..... الضِّدَّانِ الْمُفْتَرِقَانِ (٩٦)
قافية الميم	٨٩..... أَلَذَّ لِي... (٩٧)
١٠٣..... مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ (١٢٤)	٩٠..... لَمَّا تَغَرَّبَ... (٩٨)
١٠٣..... عَفُّوا (١٢٥)	٩٠..... تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ (٩٩)
١٠٣..... فَافْهَم (١٢٦)	٩١..... تَبَقَّى بِلَا صَدِيقٍ (١٠٠)
١٠٤..... كِفَاكَ تَعْلِيمِي (١٢٧)	٩١..... عِلْمِي مَعِي (١٠١)
١٠٤..... صَاحِبُهُ كَرِيمٌ (١٢٨)	٩٢..... رُزِقْتُ عَلَى جَهْلٍ (١٠٢)
١٠٥..... فَقَدْ عَادَاكَ (١٢٩)	٩٢..... كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ (١٠٣)
١٠٥..... بِهِمْ عَفْلَةٌ (١٣٠)	٩٢..... أَضِيقُ (١٠٤)
١٠٦..... إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ (١٣١)	٩٣..... كُنْ جَحِيماً (١٠٥)
١٠٦..... أَسْتَمِطِرُ الْجُودُ (١٣٢)	٩٣..... مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ (١٠٦)
١٠٧..... كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا (١٣٣)	قافية الكاف
١٠٨..... وَاجِبٌ صَوْنُهُ (١٣٤)	٩٥..... فَسَادٌ كَبِيرٌ (١٠٧)
١٠٩..... لَسْتُ مُضِيعاً (١٣٥)	٩٥..... الْقَنَاعَةُ رَأْسُ الْغِنَى (١٠٨)
قافية النون	قافية اللام
١١١..... صُنْتُ نَفْسِي (١٣٦)	٩٧..... لَا يُذْرِكُ الْحِكْمَةَ... (١٠٩)
١١١..... لَمْ تُغْنِ (١٣٧)	٩٧..... مَنْ طَلَبَ الْعُلَى (١١٠)
١١٢..... سُنَّةُ الدِّينِ (١٣٨)	٩٨..... حَتَّى أَوْسَدَ (١١١)
١١٢..... هَذَا بَدَاكَ (١٣٩)	٩٨..... لَمْ يَعْمَلْ (١١٢)
١١٣..... إِلَّا بِسَيِّئَةٍ (١٤٠)	٩٨..... أَذْبَنِي الدَّهْرُ (١١٣)
١١٣..... وَشَوَّاسُ الشَّيَاطِينِ (١٤١)	٩٩..... وَكَذًّا... (١١٤)
١١٣..... لَسْتُ بِوَاجِدٍ (١٤٢)	٩٩..... فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ (١١٥)
١١٤..... يَسُونِي (١٤٣)	١٠٠..... إِنَّ الْوَقُوفَ ذُلٌّ (١١٦)
١١٤..... الصَّنْتُ أَجْمَلُ (١٤٤)	١٠٠..... تَعْلَمُ (١١٧)
١١٤..... لُقْمَةٌ تَكْفِينِي (١٤٥)	١٠٠..... أَخَذُوا بِدَعَا (١١٨)
١١٥..... كَحَلَّتْ بِهِ أَجْفَانِي (١٤٦)	١٠١..... إِذَا شِئْتُ (١١٩)

١١٩.....	(١٥٨) مِنْ أَقْوَى الْفِطْنِ	١١٥.....	(١٤٧) كُلُّكَ سَوَاءَتْ
١٢٠.....	(١٥٩) أَتْرُكُ هَوَاهُ	١١٥.....	(١٤٨) سَهَرَتْ وَنَامَتْ
	قافية الهاء	١١٦.....	(١٤٩) أَرَحْتُ نَفْسِي
١٢١.....	(١٦٠) لَا خَيْرَ فِيهِ	١١٦.....	(١٥٠) إِحْفَظْ لِسَانَكَ
١٢١.....	(١٦١) مَنَزِلَةُ السَّقِيهِ	١١٧.....	(١٥١) لَا تُكْرِمْهُمْ
١٢٢.....	(١٦٢) تَصَبَّرْ لِلْبَلَوَى	١١٧.....	(١٥٢) الْعَيْبُ فِينَا
	قافية الياء	١١٧.....	(١٥٣) خَافُوا الْفِتْنََ
١٢٣.....	(١٦٣) أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ	١١٨.....	(١٥٤) فَبَشِّرْهُ
١٢٣.....	(١٦٤) وَعَيْنَ الرِّضَا	١١٨.....	(١٥٥) عَمِيقَ بَحْرِهِ
١٢٤.....	(١٦٥) نَسِينَا الْأَمَانِي	١١٨.....	(١٥٦) الصَّبْرُ جُنَّةٌ
١٢٤.....	(١٦٦) تَجَاوَزُوا هَذَا	١١٩.....	(١٥٧) مَا شِئْتَ كَانَ